٥٤٧

547

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

صيف مصيري

مارغريت واي

صيف مصيري

مارغريت واي

في ذلك الصيف، تغيّر كل شيء. فاولاً، وجدت شيلي أباها. لاول مرة منذ ستة عشر عاماً، يجتمعان معاً مرة أخرى. ولاول مرة تعلم شيلي السبب الحقيقي الذي جعل أباها يترك أسرته. ثم كان هناك راف كونواي، الذي انجذبت شيلي اليه ولكنه كان واثقاً من أن الطمع هو وحده الذي أتى بها إلى استراليا... وذلك لكي تستغل ثراء أبيها وكرمه. ولكي تقنع هي راف بالعكس، كان يعني خداع لامها، وهذا ما لم تستطع شيلي القيام به. صيف مصيري حافل بالحب والمرارة... كيف ستكون نهايته؟

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ١ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال.

مارغريت واي

تشعر «مارغريت واي» بمتعة عظيمة في الكتابة، وهذه المتعة تدفعها إلى الاجتهاد في ذلك، وهي تشعر بالبهجة عندما تذهب مع أسرتها إلى الشاطىء في عطلات آخر الأسبوع. تحب المعارض الفنية والمزادات. بيتها قائم على تلة مرتفعة تشرف على مدينة «بريسبين» في أوستراليا التي هي فردوسها ابتدأت بالكتابة عندما كان ابنها طفلاً رضيعاً. وهي الآن لا تجد أفضل من هذه لقضاء وقتها.

٥٤٧

خلوب

khouloub Abir 547

صيف مصيري

مارغريت واي

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

كان منظر المروج الخضراء المترامية، لا حد لجمالها... وانتابها شعور قوي دافىء، فبعد الشتاء البارد الطويل في الجزيرة الجنوبية في نيوزيلاند، بدا لها الأمر وكأنها وصلت إلى روعة الشمس المتألقة.

هنا وهناك، ومن خلال حقول الخيزران الفسيحة، كان بامكان شيلي أن ترى المساكن الريفية البيضاء تحيط بها صفوف أشجار الأليساندر بألوانها البيضاء والصفراء والوردية، هذا إلى أشجار المانغو بأحجامها الضخمة وقد أثقلت أغصانها بالثمار. كانت الأسقف الهرمية لتلك المنازل الجميلة القائمة على أعمدة ضخمة قد حوّلت أشعة الشمس لونها إلى لون الطحالب الأخضر، أو الرمادي الممزوج بالوردي أو اللون الأحمر. كان قاع كل هرم منها واسعاً يمتد فوق الشرفات التي تحيط بالمنازل. وكان درابزين الشرفات محاطاً بسلاسل الزهور بشكل لم تر شيلي مثله من قبل كانت الطبيعة مزدانة كأن كل شيء فيها يغني في ذلك الصباح الرائع. المقاعد الخشبية، الأسيجة، الأبنية الملحقة بالبيوت، الشرفات. ولكن كان هناك أشياء أخرى كثيرة لم تستطع تمييزها، فتكهنت بأنها من نباتات الأدغال الشتوية في الشمال. كانت كيب يورك إحدى أكبر المناطق البرية في العالم. وساورها الأمل في أن ترى شيئاً منها قبل هبوب الرياح الموسمية التي يتعذر أثناءها الوصول إلى شبه الجزيرة هذه.

الحاجز الصخري الكبير، كان في برنامجها هو أيضاً. وكان ممتداً بجانب البراري الساحلية، حيث يمتد سد مرجاني أكثر من ألف ومائتي ميل ليمثل سداً عملاقاً أمام ارتفاع المحيط الباسيفيكي. وداخل البحيرة المالحة امتدت آلاف من الشعاب المرجانية والجزر ذات الجمال الفائق. وجزر أخرى مثل هايمان وهاميلتون وليزارد، كانت منتجعاً للأغنياء والمشهورين. كانت شيلي تريد أن تمضي قسماً من وقتها على الأقل في اكتشاف تلك الشعاب الصخرية ولا شك أن والده لن يمانع.

والدها... الذي اختفى من حياتها حين لم تكن تتجاوز السابعة من عمرها. لقد أمضت كل السنوات الماضية التي تلت ذلك محاولة، عبثاً، أن تتعوّد على غيابه.

تذكرت اليوم الذي رحل فيه، تذكرت بكاءها وتوسلها إليه: «لا تذهب يا بابا. أرجوك ألا تذهب.»

كم من المرات استعادت ذلك المشهد في ذهنها؟ مئات، آلاف، لقد بقي لا يفارقها أينما ذهبت. كان مشهداً مروعاً لا يمكن أن تنساه...

كانت في ذلك الحين طويلة القامة بالنسبة إلى سنها، وذات ضفيرة شقراء غليظة تصل إلى ظهرها. ترتدي مريلة زرقاء وقميصاً ورديا. وكانت أمها سارينا، الرائعة الجمال، تضع يدها على صدغها وكأنها تعاني صداعاً. لقد اشتبكت شيلي ووالدها بعناق ابوي. لشدّ ما كانت تحبه. وكان حزنها لفقدانه بالغاً.

كانت أمها تصفه، منذ ذلك الحين، بذي القلب القاسي، والشخص التائه دون هدف أو شعور بالمسؤولية، ويبدو أن الحق كان معها. فقد خرج أبوها من حياتهما كلياً. لم

يكن رجلاً تائهاً بالمعنى المعروف، ولكن سائق يخت ماهر يجول في جنوب الباسيفيك وجنوب البحر الصيني. عاش عدة سنوات في بالي وفيجي قبل أن يعود إلى كوينزلاند حيث كتب إليها وذلك لأول مرة منذ ستة عشر عاماً... وذلك بعد أن اشترى مزرعة قصب سكر ونزل في ميدان العمل مع شريك، (أتوسل إليك، يا ابنتي الحبيبة، أن تأتي، إنك ناضجة الآن وبإمكانك أن تحكمي بنفسك.)

قال إنه لم ينسها قط. فهي لم تبارح خياله يوماً منذ فارقها. ولكن أمها قالت ساخرة: «لا تصدقي كلمة مما يقول.» لكن شيلي صممت على أن تمنح أباها فرصة ليعود إلى حياتها. كانت شيلي تحب أمها، فقد قرّب بينهما مواجهتهما للمستقبل وحدهما. ولكن أمها قد تزوجت مارتن الآن وأنجبت منه ولدين كانت شيلي شغوفة بهما حباً، وهما جايمس وتيموثي. ولكن شيلي لديها متطلباتها هي الأخرى، والآن فقط، منذ وصول الرسالة، أدركت مدى هذه المتطلبات والسرعة التي عليها أن تلبيها بها. فالحب الذي غمر السنوات السبع من حياتها لا يمكن أن يمحى أو يتلاشى. وكان كل ما استطاعت عمله هو كتمان الألم الذي بقي يثقل نفسها.

إن وصولها سيكون مفاجأة كبرى. فقد كانت شيلي تلقت رسالة أبيها وأرسلت جوابها وذلك منذ ثلاثة أشهر، وحين كانت في غمرة انهماكها في التحضير لأول معرض فني يقام لها في متحف الفنون الكبير. والآن قد أقيم هذا المعرض والذي كان من النجاح بحيث لم تكن تجرؤ على التفكير في مداه، أقيم وانتهى وألقت هي عن كاهلها كل شيء، وذلك لكي تتمكن من الوصول إلى عتبة منزل أبيها، دون إعلامه. فلا

مكالمة هاتفية، ولا رسالة، ولا تنبيهاً مسبقاً. اشترت تذكرة مفتوحة، مرتجعة، ستستعملها بعد أن تريح ذكرياتها التعسة، فالمهم أكثر من أي شيء آخر، هو منح أباها آخر فرصة. فهذه كانت دوماً أقوى رغبة تملكتها في حياتها.

رفعت شيلي إحدى يديها عن عجلة القيادة لتمسح عينيها، فقد ابتدأت تشعر بالارهاق. لقد قطعت في الأيام القليلة الماضية مسافات طويلة. فمن تاسمان إلى بريسبن عاصمة ولاية كوينزلاند حيث أمضت الليلة هناك، ومن ثم إلى كيرنس في شمال كوينزلاند الاستوائي والذي يبعد ألفاً وأربعمائة ميل. وبعد تلك الجزر الصغيرة البالغة الجمال، وجدت شيلي المسافات تزداد صعوبة. والسيارة الصغيرة التي كانت استأجرتها كان ينقصها مكيف هواء وذلك في منطقة هي بأمس الحاجة إليها، وأدركت الآن أنها أخطأت في محاولتها الاقتصاد في صرف نقودها. كانت متعبة هي وسيارتها. سارت متبعة ارشادات والدها في رسالته. وقد تركت الآن الطريق الرئيسي صاعدة طريقاً مرصوفاً بالحصى لتدخل بسرعة إلى ممرات طويلة محاطة بالخيزران.

إلى يسارها لاح سور هائل يغطيه الضباب مكون من سلسلة جبال كبرى تفصل بين سهول ساحلية معشوشبة وبين أخرى أحرقت خضرتها الشمس. وإلى يمينها امتد شاطىء يحف به النخيل ورماله بيضاء كالملح. وخلف ذلك كان البحر رائعاً.

أخذت شيلي تعب ذلك الهواء البارد المالح. ووصل إلى أنفها موجة من عطر زهور الأوركيد البرية النابتة في منتصف الطريق إلى المرتفعات. وبعد ذلك بقليل، وصلت شيلي إلى منزل أبيها.

مزرعة المنظر الجميل.

لقد كادت تخطئها حيث أن البوابات العالية كانت مغطاة تقريباً بالأزهار البيضاء الشبيهة بالأبواق. وكانت اللوحة التي تحمل الاسم هذا، مغطاة بأوراق الشجر اللامعة. ووجدت شيلي نفسها تضحك بصوت عالٍ، فقد كانت أمها طلبت منها أن تضع في الحسبان أنها ستجد أباها مفلساً. ولكنه على الأقل مفلس في هذا المحيط الرائع.

بعد ذلك بلحظات كانت تصعد بسيارتها طريقاً ذا تربة بركانية حمراء. ما زالت لا ترى أثراً للسكان. وكانت الأشجار الكبيرة تظلل المكان، مما اشعرها بموجة من عدم الارتياح. كما أن زقزقة الطيور قد خفت، وسخن الهواء.

وجدت أمامها بيتاً قديماً من الخشب قد تسلقت عليه أزهار الأوركيد كما أن نبات الخنشار تخلل الشرفات في الداخل والخارج. وكان الدهان الأبيض متساقطاً، وقد بهت لون السقف الحديدي وكذلك مصاريع الأبواب الفرنسية الطراز.

كان المنزل يبدو مهجوراً. فكل الأبواب الفرنسية التي تعود إلى الشرفات كانت مقفلة المصاريع. كما أن الباب الأمامي كان مقفلاً. لم يكن أبوها موجوداً. حسناً، ولمَ لا؛ فليس لديه سبب يجعله يتوقع حضورها. وصعدت إلى الشرفة تحاول فتح المصاريع. وتملكها الذعر، فانهارت جالسة على أحد الكراسي الموجودة على شرفة الباب الأمامية. كان نبات الخنشار يبزغ من كل شقوق الألواح الخشبية. وساورها شعور بأنها ستغزو البيت قريباً جداً.

وعادت تحاول فتح مصراعي الباب، ونجحت بعد دفع شديد.

نادت: «هل هناك أحد؟» ثم دخلت. وجدت نفسها في قاعة واسعة. لم يكن الأثاث ثميناً ولكنه متين. وكان ثمة لوحة زيتية رائعة معلقة على الجدار المقابل، وكان الاسم على أسفلها إلى اليمين ستيوارت هل من الممكن أن يكون أبوها قد رسم هذه؟ إنها تتذكر كيف كان يعلمها ان ترسم زورقهما.

قالت بصوت عالٍ: «أحبك، يا أبي.» وأخذت تتلمس الأثاث برقة وخفة وفتحت المزيد من الأبواب، فتدفقت أشعة الشمس الى الداخل.

كان هناك الكثير من اللوحات على الجدران. ورفوف كتب. ومناضد مصقولة، وأثاث خيزراني. كانت الكراسي والأرائك منجدة بقماش قطني أبيض. وكان هنالك اواني كثيرة للزينة ومنحوتات من بالي في أندونيسيا.

كانت غرفة النوم الرئيسية تحتوي على سرير واسع يقوم على منصة خشبية وهو من طراز أندونيسي، وبجانبه. وبدا جوّ الغرفة هادئاً آمناً إلى درجة غير عادية. وكان في آخر الممر غرفة واسعة يبدو أن الإصلاح قد طالها. فقد دهنت جدرانها حديثاً. وكان يحتلها كذلك سرير أندونيسي الطراز. وكان هناك أيضاً مقعد مستطيل قائم قرب الأبواب الفرنسية الطراز، بجانبه كرسي بذراعين مغطى بقماش قطني مضلع مرجاني اللون. ومن هذا المنظر، أدركت شيلي أنه مصنوع لفتاة شابة لها هي.

* * *

أقبل الليل بسرعة أذهلتها. فما أن كانت تنظر إلى شفق الغروب بإعجاب، حتى تغير لون السماء فجأة إلى اللون

البنفسجي الباهت، فاللون الأزرق القاتم، فالأسود الحالك. وأسرعت شيلي عائدة إلى الداخل حيث أضاءت أنوار الردهة. ولأول مرة تشعر بالخوف. فقد كان المنزل منعزلاً تماماً، ولكن كان لديها الهاتف على الأقل. بمن تستطيع أن تتصل؟ فهي لا تعلم حتى اسم شريك أبيها.

وبرغم الحرّ، أقفلت منافذ المنزل بعناية قبل اللجوء إلى فراشها. وقد أفادها وجود المراوح فوق رأسها، إنما ليس كثيراً. ولم تستطع مقاومة الرغبة في جمع بعض الأزهار الإستوائية الرائعة من الحديقة. وكان الهواء يعبق بمزيج من شذا ازهار الغاردينيا والأوركيد وغيرها.

شعرت بالانتعاش بعد غسل شعرها الذي كان طويلاً على الدوام، ولكنه كان كثيفاً حقاً. وكان أشقر ذهبياً ومتموجاً، فهو مناقض تماماً للون بشرتها الأسمر وعينيها البنيتين، وكان كل هذا قد ورثته عن أمها الإيطالية أما ما عدا ذلك، فكل ملامحها، بما في ذلك الغمازة في ذقنها، قد ورثتها عن أبيها.

صعدت إلى السرير الأندونيسي، وكانت قد تركت مصباحين مضائين للتخفيف من حلكة ظلمة الأدغال. وفوق رأسها كانت المروحة تدور بهدوء. أغمضت عينيها تنشد الراحة.

استغرقت شيلي في نوم تملؤه الأحلام عن أدغال مليئة بزهور الأوركيد ونباتات تأكل البشر.

* * *

استيقظت بعد ساعة، وقد خدرها الإرهاق وشذا الغاردينيا الذي كان ينتشر في ذلك المنزل الحار المقفل.

كان ثمة أصوات ظنتها، في البداية، جزءاً من الحلم، ولكنها سرعان ما أدركت أنها حقيقة.

كان ثمة إنسان في المنزل. وتجمد دمها رعباً في البداية. فامتدت يدها إلى معطفها المنزلي آملة أن يكون الشخص الذي في الطابق الأرضي هو والدها. ولكنها لم تستطع الإمساك به. فقد كانت أصابعها متجمدة من الخوف والنعاس. وسمعت صدى خطوات على أرض غرفة الجلوس المصقولة ثم صوت رجل ينادي: «من هناك؟» كان صوتاً قوياً فتياً ورناناً بشكل ملحوظ.

تملكها الذعر. فقد كانت وحيدة في منزل منعزل مع رجل غريب. نظرت حولها باضطراب تبحث عن شيء تستعمله كسلاح. ولما لم تجد، قررت أن تجرب حظها بعصا خيزرانية. فهنالك أوقات للشجاعة وأوقات لاتخاذ الوقاية، ولا شك أن هذا الأخير هو ما هي بحاجة إليه الآن. وشتمت بصوت خافت وهي تحاول فتح الباب الفرنسي الطراز، ولكنه استعصى عليها لحظة ما لبث بعدها أن انفتح على مصراعيه محدثاً صريراً يصم الآذان.

اندفعت تجتاز الشرفة بسرعة متجهة نحو السلم. لم تكن تريد أن تفكر في ما عليها أن تفعل بعد ذلك. ولكن بإمكانها أن تختبىء في تلك الأرض الواسعة، حتى ولو استلزم الأمر تسلق شجرة مانغو تخفيها عن الأنظار.

اندفع ذلك الرجل الدخيل إلى الشرفة لاحقاً بها، فالتفتت شيلي إلى الوراء وقد غطى شعرها الطويل عينيها.

حثت نفسها على السرعة، ولكن ما أن وصلت إلى قمة السلم، حتى كان قد أمسك بها ما منعها من الحركة.

«إذن، فأنت إنسان حقيقي؟» وكان يتحدث بغضب.

فقالت غاضبة: «إرفع يديك عني.» وكان صوتها تتخلله الرقة.

قال ضاحكاً: «سأفعل ذلك فقط لكي تدركي أنني سيد مهذب.» كانت نبرة صوته خطرة ولكنها لم تخل من دعابة. وعلى الفور، كانت تتابع الركض هابطة السلم بسرعة بينما هو يصرخ خلفها يحذرها: «حذار من الحيّات.»

الحيات... وفي سرعتها هذه اندفعت شيلي داخلة إلى الظلام حيث اصطدمت قدماها بكتلة ضخمة من الإسمنت. لقد فزعت مرة عندما حاول مراهق اقتحام سيارتها، ولكن لم يحدث لها مثل هذا قط.

تجاوبت أصداء صوت ذلك الدخيل في الظلام يتخللها شيء من فروغ الصبر وهو يقول: «عودي، أيتها البلهاء، فليس ثمة شيء يخيفك مني. إننا سنتبادل الحديث فقط.»

شعرت شيلي بحماقتها. فهو لا يبدو دخيلاً أبداً... وقد يكون شرطياً... إن عليها أن تكفّ عن التساؤل...

فقال الرجل باشمئزاز: «كفي عن الصراخ، أرجوك، فأنا لست لصاً ولا معتدياً.»

فسألته: «ومن أين لي أن أعلم ذلك؟ ماذا تكون؟ هل أنت شرطي؟»

قال: «هذا عظيم. فقد ابتدأت بإلقاء الأسئلة. دعينا نبتعد عن هذا المكان وانتبهي إلى رأسك.»

كانت السحب قد انزاحت عن وجه القمر ما جعل أحدهما يرى الآخر بوضوح.

قال لها بحدة: «كفي عن الإرتجاف فأنا لن أؤذيك. والآن،

ممن أنت هاربة؟ من أبيك؟ من صديقك؟ من الصعب عليّ تصوّر شقراء بريئة تقتحم البيوت.»

لفت شيلي ذراعيها حول نفسها لمزيد من الحماية وهي ترى نظراته الحادة. فهو لم يكن شرطياً، إلا إذا كان المطلوب في رجل الشرطة هذه الأيام أن يكون بالغ الوسامة.

سألها متهمكاً: «هل فقدتِ لسانك؟»

فردت عليه قائلة: «ومن يلومني؟ إنني لم أتعود على وجود رجال في منزلي.»

«منزلك؟»

«لِمَ هذه السخرية؟ هل ظننت حقاً انني فتاة هاربة ألتمس مخبأ؟»

فسألها: «إذن أخبريني من أنت.»

«إسمع، إنك لا تهمني أبداً. فانت هو الدخيل، ولكنك تحاول تخويفي. إنني شيلي ستيوارت. إن مارك ستيوارت هو أبي.»

فعاد يحدّق إليها بحدة تقرب من الغضب، وأخيراً قال وقد استحال وجهه إلى حجر: «إذن، فهذه أنت؟ لماذا تأخرت إلى اليوم؟.» واستمرّ يحدق فيها بصمت. كانت ملامحه جامدة وهو يقول أخيراً: «أريد أن أشرب شيئاً. تعالي إلى المطبخ.»

فقالت وقد عادت إليها الثقة: «ولماذا؟ لحديث نصف الليل؟ ومن أنت؟»

قال: «ألا تعلمين؟»

«ربما هناك أحد بإمكاني الاتصال به وسؤاله.»

«هناك كثيرون. وإنما هذا الأمر بيني وبينك.» وألقى عليها نظرة ازدراء غامضة ثم سار نحو الردهة.

مَنْ مِنَ الممكن أن يكون؟ شريك أبيها؟ هذا غير محتمل. إنه أصغر من أن يكون كذلك. فهو يبدو في الثلاثين أو الواحدة والثلاثين. وبعد ذلك بدقائق قليلة، كانت تلحق به إلى المطبخ وكان هو يصنع القهوة. كان واضحاً أنه يعلم أين يوجد كل شيء في هذا المنزل.

قال لها وهو يوليها ظهره: «اسمي راف كونواي. هل يذكرك هذا بشيء؟»

أجابت وهي تسحب كرسياً وتجلس عليه: «كلا.»

واستدار ينظر إليها متفحصاً: «إنني شريك والدك.»

«يا للمصيبة.» إذن فقد كان تكهنها خاطئاً.

فقال وهو يستند إلى المنضدة خلفه: «أظن أنك بحاجة إلى صديق. ما الذي جاء بك إلى هنا، يا شيلي سيتوارت؟»

فقالت بمرح: «دعوة من أبي. ظننتك تعرف أبي جيداً.»

قال: «أعرفه جيداً كما يعرفه أي شخص آخر. إن ماركو رجل وحيد.»

فأعادت الذكريات شيلي إلى الماضي، وقالت: «ليس عليك أن تخبرني بذلك. فقد رحل من حياتنا عندما كنت في السابعة. وقد افتقدته منذ ذلك الحين بشكل مريع.»

سألها متشككاً: «نعم؟»

ردت عليه بحدة: «نعم! وعلى كل حال، ما هو شأنك أنت بهذا؟»

ألقى عليها نظرة مزعجة تكاد تكون احتقاراً. «إن ماركو صديقي وهو رسام ممتاز. وهو كذلك رجل محطم وذلك من نواح كثيرة.»

ألقت كلماته، والإدانة العنيفة التي تحتويها، الذعر في نفسها. «من أية ناحية هو... محطم؟»

«من أهم ناحية وهي الأسرة. فعندما لم يستطع والداك متابعة السير بحياتهما الزوجية، هل كان ذلك يعني أن تخرجي أباك من حياتك؟»

بدا الذهول على شيلي لحظة، وأخيراً استطاعت أن تقول بهدوء: «إياك أن تحاول إدانتي. فأنت لا تعرف شيئاً عن هذا الأمر.»

رد عليها بخشونة: «لا أعرف؟ لقد كنت أستمع إلى ماركو ساعات طويلة. وأنا أتذكر كل شيء أخبرني به. كما أنني أتذكر أنك لم تجيبي قط على أيّ من رسائله، رغم كثرة كتاباته لك.»

«إن أبي لم يكتب إليّ قط طوال ستة عشر عاماً. ولا كلمة واحدة. إن هذا شيء لن أنساه له.»

فقال بلهجة لاذعة: «ولماذا جئت إذن؟»

رفعت إليه عينيها الرائعتي الجمال وقالت: «لقد تلقيت رسالة واحدة منه.»

«أهي تلك التي أتى فيها على ذكر مشاريعه العملية؟»

حبست أنفاسها لما يتضمنه كلامه هذا من تعريض، «ماذا تقول؟»

ارتسمت السخرية على ملامحه الجامدة: «لا أظنك تسألينني حقيقة. أليس كذلك؟ إن هذا ليس أمراً مفاجئاً تماماً.»

لم تجب شيلي. فوقف وهو ينظر إليها ببرود، ثم قال: «يا للبراءة.»

«لو كان قد دعاني لجئت منذ زمن طويل. سواء صدقتني أم لا. لماذا كل هذا العداء من جانبك نحوي، على كل حال؟ فأنت لا تكاد تعرفني.»

أجاب وهو يسكب قهوة سوداء في الفنجانين. «ربما كنت أعرف أكثر مما تظنين. لماذا لم تحضري معك أمك؟»

قالت: «إن لأمي حياتها الخاصة. لقد تزوجت منذ سنوات ولديّ أخوان الآن.»

فقال وهو يجلس على كرسي قبالتها: «وهكذا لم يبق لك مكان.» كانت لهجته ناعمة ولكن عينيه المتألقتين كانتا تلتمعان حقداً.

توهج وجه شيلي ومدت يدها ترفع فنجان القهوة: «عفواً، لكن أفراد أسرتي يحبونني وأنا أحبهم. مع انني لا أعيش معهم. لقد اتخذت حديثاً شقة خاصة بي لأنني أصبحت كبيرة.»

«طبعاً. فلا بد أنك في الثالثة والعشرين. وحيث أنك أصبحت ناضجة، فقد قررت زيارة ماركو.»

فأغمضت شيلي عينيها لحظة، ثم قالت: «دعني أقلها مرة أخرى. أنا لم أستلم سوى رسالة واحدة.»

بان العنف على وجهه الوسيم وقال: «إن الحقائق ضدّك.»

فصرخت وقد تملكتها موجة غضب: «هذا ما تقوله. ولكنك لست في وضع يسمح لك بأن تعلم كل شيء. إن ما تعتقده لا يهمني بشيء.»

قال: «وأنا كذلك لا تهمني تصرفاتك. إن من أهتم به هو ماركو فقط، فقد عومل بقسوة. وبالمناسبة، إنه الآن في مدينة بريسبين، حيث يمضي عدة أيام، فالمزرعة هنا غير منتجة، كما لا بد انك علمت بذلك. لقد كان ترك لي ماركو مفاتيح المنزل وكلاب الحراسة. وعندما رأيت الضوء، قررت أن أتحرى الأمر. هناك كثير من المتشردين يتطلعون إلى مكان ينامون فيه.»

www.elromancia.com

فسألته: «ألم يخبرك أبي بأنني قادمة؟»

أجاب: «بالتأكيد. ولكن ذلك كان منذ ثلاثة أشهر. وحسب سجلك الفظيع، لم أعوّل كثيراً على الأمر. لقد أصيب ماركو في حياته بما يكفيه من خيبة الأمل.»

«وماذا عني أنا؟»

قال ساخراً ببطء: «ماذا عنك، يا طفلة؟» ونظر في ساعته.

قالت: «كيف تظن شعوري وأنا أنشأ من دون أب؟ لقد أحببته للغاية، ولكنه تخلى عني.» وخرجت هذه الكلمات من فمها أشبه بنواح طفلة.

«لا بد أنه كان لديه سبب وجيه لذلك.»

«ليس ثمة سبب وجيه يجعلك تتخلى عن طفلك. أنا نفسي لا أستطيع ذلك. إنني سأكون أحسن أم في العالم.»

«هذا شيء يصعب تحقيقه، هذا إذا تحقق. أرجو أن تكوني قررت الزواج أولاً.»

«طبعاً. فقد كنت دوماً أتصور نفسي عروساً، هذا إلى أنه لا بد أن يكون هناك رجال يختلفون عنك.»

فتخلل شعره بأصابعه: «إنك من الجمال بحيث ليس عليك أن تبحثي عن زوج... إن الرجال هم الذين يبحثون عنك. أخبريني. كم ستطول مدة زيارتك هذه؟ هل إلى أن تعلمي بالضبط كم يمتلك ماركو؟»

فبلغ الغضب من شيلي مداه، وبحركة آلية رفعت يدها وكادت الصفعة تقع على وجهه الكريه لولا أن سارع يمسك بمعصمها.

«والآن من تظنين نفسك؟ عليك أن تتعلمي كيف تواجهي الأمور.»

فقالت لاهثة: «تعني أن عليّ أن أتعلم كاراتيه.»

«لا تبالغي، فأنا لم أسيء إليك.»

«بأي حق تنتقدني؟ إنك لا تعلم عني شيئاً مطلقاً.»

«إنني أعلم ما فيه الكفاية، يا ذات الجدائل الذهبية.» ورشف ما بقي من قهوته ثم وقف قائلاً: «إحزمي أمتعتك. لا يمكنك البقاء هنا.»

عادت شيلي بكرسيها إلى الوراء وقالت: «عفواً، لكنني لا أستطيع.»

لمعت عيناه وقال بعنف: «قد لا يعجبك الإقتحام الثاني للمنزل.»

«وما الذي يجعلك تظن أن هذا الإقتحام الأول منك قد أعجبني؟ إنك أسوأ إنسان قابلته.»

«إذن، فقد حان الوقت لفتح صفحات حياتك. أتعلمين رأيي فيك؟ رأيي هو أن الضجر قد تملكك في نيوزيلاند فقررت البحث عن مستقبلك هنا. أظنك سمعت عن شهرة ماركو كرسّام، فهو لم يعرض رسومه إلا بعد أن عثرت له على الوكيل المناسب. يبدو أن الأخبار تنتقل بسرعة.»

«إنها لم تصل إلى بلدنا. لم أكن أعلم أن أبي رسام.»

«وهل جئت لرؤيته فقط؟ هل تغيرت شخصيتك؟ هل أصبحت شخصاً آخر؟»

«أنا لست بحاجة إلى رضاك عني.»

«وكذلك أنت لم تحصلي عليه بكل تأكيد. والآن، هل ستحزمين أمتعتك؟»

فأجابت وقد كرهت الامتثال لأوامره: «كلا. لن أتزحزح من هنا.»

فقال محذراً: «إن ماركو لن يعجبه هذا، خصوصاً

www.elromancia.com

بالنسبة إلى ابنته. إنه سيعود يوم الجمعة على الأقل. وإذا أخبرناه بقدومك سيأتي قبل ذلك. وهذا ما لن نقوم به.»

فسألته وقد كرهت تحمل المزيد من غطرسته: «ما الذي يجعلك تظن أن القرار عائد إليك؟»

رفع حاجبيه قائلاً: «لا تظني انني سأتركك هنا. فأنا لا أحب تحمل مسؤوليتك.»

«إنني أتحمل مسؤولية نفسي في الواقع.»

شملها بنظرة ازدراء خالصة: «ماذا لو اقتحم المنزل هنا بعض الأشقياء؟ فهناك الكثيرون من المتشردين يمرون من هنا يقصدون الشاطىء. استعملي عقلك. إذا رأوك، فلن يكتفوا بسرقة بعض الأشياء فقط.»

بدا لها كلامه معقولاً. فنظرت حولها، ثم قالت: «أعد الكلاب إلى هنا.»

فقال بخشونة: «اسمعي، لقد كان هذا النهار شاقاً متعباً بالنسبة إليّ، ولهذا لا أشعر بالتهذيب الذي اعتدته.»

وقفت شيلي تجمع آنية القهوة وتحملها إلى الحوض حيث أخذت تغسلها: «آه، إذا كان هذا هو الأمر، فأنا أكره أن أضايقك. إنني لا أحب أن يستعجلني أحد. سأمضي الليلة هنا، ثم تعيد الكلاب. ما نوعها؟»

لم يتردد في القول وقد بدى على ملامحه تعبير بغيض: «إنها من نوع دوبرمان المتوحش. ونحن نبقيها جائعة. والآن، لا أظنك مستعجلة لرؤيتها.»

• • •

بعد ذلك بربع ساعة، كانا في سيارته الجيب.

قالت: «يخطر ببالي أنني ربما قفزت من المقلاة إلى النار.»

قال معنفاً بلهجة لاذعة: «هل لديك مانع؟ إنني الكفيل بسلامتك دون شك. وبجانب ذلك، لا يعجبني ما تنوين القيام به.»

وكان هذا هو الجواب المناسب، فقالت بحزم: «إنني لا أنوي القيام بشيء، كما انني لا أدري ما الذي تريد الوصول إليه.»

«إن مشكلتي هي في تصديق ما تقولين.»

«أما مشكلتي أنا فهي مع الرجال الذين لا يرون النساء إلا نوعاً واحداً مكرراً. أفهم من كلامك أنك تعتبرني باحثة عن المال؟»

«ألست كذلك؟»

صدرت عنها ضحكة جافة: «المسألة كما أراها هي أن الرجال هم أمهر من في العالم في فن خدع الثقة. صدقني ليس لديّ مشاريع. لقد كتب إليّ أبي...»

فقاطعها بصوت جاف: «منذ سنوات وهو يكتب، وقد أرسلت الكثير من تلك الرسائل بنفسي. حتى انني أنا من عثر على عنوانك الجديد.»

«أنت؟»

«ألا ينبئك هذا بأنني صديق حميم لماركو؟»

وإلى حد ما، لم تحتمل هذه العلاقة الوطيدة بينه وبين أبيها، فقالت بملل: «إسمع، لست بحاجة إلى سماع كل هذا. كل ما حصلت عليه من أبي، حتى الآن، هي الذكريات فقط.»

«وماذا عن الهدايا والنقود التي كان يرسلها؟ يجب ألا ننسى النقود.»

www.elromancia.com

لم تكن تعرف هذه الأشياء، فشهقت وهي تقول: «نقود؟»

أجاب بصوت مليء بإعجاب ساخر: «أراهن على أنك كنت أفضل ممثلة صغيرة في المدرسة الثانوية.. فالشهقة هذه هي تحفة فنية. وماذا بالنسبة إلى عقد اللؤلؤ؟ لا بد أنك لم تنسي عقد اللؤلؤ ذاك الذي أرسله إليك بمناسبة ذكرى مولدك الواحد والعشرين. لقد جعله ثمنه يتراجع مادياً إلى درجة كبيرة. لقد استقل الطائرة إلى بروم لكي يشتريه، حيث لآلىء البحر الجنوبي والتي هي الأنفس في العالم. أراهن على أنها تبدو مذهلة بجمالها.»

«هذا صحيح.» كانت قد أعملت عقلها لحظة. فإذا كان ما يقوله صحيحاً، فهذا معناه أن أمها كانت تخدعها طوال تلك السنوات، معتقدة أن تصرفها هذا إن هو إلا لمصلحة شيلي.

فقال يدينها بلهجة رقيقة: «يا لك من محتالة صغيرة، ويا لهذا التحوّل السريع. كيف أصدق إذن أن اهتمامك المفاجيء بماركو ليس بسبب مادي؟»

«الأفضل أن تتركنا، أنا وأبي، لنعمل على تصفية كل هذه المشاكل حتى نصل إلى النتيجة المرجوة.»

فأطلق ضحكة غامضة: «إن لك شكل البريئة وعقل آلة تسجيل النقود. إن هذا سيجعل من حب ماركو العظيم لك، نكتة كبيرة.»

فقالت: «لقد سبّبت لي الكثير من الحزن. إن الهدايا لا تعني شيئاً عندما لا يكون الأب موجوداً.»

«إذن، فقد ابتدأت مبكراً في لومه؟»

كان من الصعب أن تفتح قلبها لشخص غريب. خصوصاً لإنسان يصدر احكامه هكذا.

«إنس علم التحليل النفسي. فإذا كان أبي يتألم، فقد سبّب الكثير من الألم كذلك. إن الهجر ليس شيئاً جميلاً. اسألني أنا عن ذلك.»

«أظن هذا يفسر الأمور إلى حدّ ما. هل علمت أن أباك قد كافح طويلاً لكي يظفر بالوصاية عليك؟ وقد خسر القضية. فهذه المسائل ليست دوماً سهلة بالنسبة إلى الرجال. ثم هربت أمك بعد ذلك إلى نيوزيلاند.»

«كان لها أصدقاء هناك.» وكان صوت شيلي تهزه المشاعر والتعب.

فقال بصوت أكثر رقة: «لا بأس. إنك ما زلت صغيرة ويوماً ما ستتضح كل الأمور.»

«قد يكون هذا غير ممكن إذا تدخلت أنت بيننا. إنه شيء بيني وبين أبي. إني آسفة إذا كنت أفسدت خططك بشكل ما. إنما لا تخف، فأنا جئت فقط لقضاء عطلة وسأعود إلى نيوزيلاند قبل أن تدرك أنت ذلك.»

فقال بحرص: «حسناً، لن أمنعك من ذلك. ما أريده هو أن أخبرك، أو أنبهك إذا شئت، إلى أن تكوني رقيقة عطوفة مع أبيك. فإنه يأخذ عنك هذه الصورة التي لا تتفق مع الواقع.»

قالت شيلي غاضبة: «وما أدراك؟ يبدو أنك أخذت عني فكرة مسبقة. ألا يمكنك أن ترى أبعد من ذلك؟ أرى أنك لا تريدني هنا، فقد أتدخل في خططك. وماذا عن قيمك الأخلاقية الممتازة؟ فأنت تقول إنك شريك أبي، بينما هو من السن بحيث يصلح لأن يكون أباً لك. هذا أمر غير عاديّ. ماذا تريد منه؟»

فقال بجمود: «أنا لا أسعى إلى كسب شيء منه.»

كان يعرَض بها، وكان هذا كثيراً عليها في ليلة واحدة: «أوقف السيارة.»

فقال دون تأثر: «لا تكوني سخيفة. إنك متعبة، ولهذا سنعقد هدنة، هذا إلى أننا اقتربنا من البيت.»

«لا بد أنني كنت مجنونة إذ جئت معك.»

«لو بقيت في منزل ماركو لكان جنونك أشد. إن عليّ القيام ببعض الأشغال في البيت قبل أن يعود. ويمكنك أن تأتي معي لعدة ساعات. إذ أن ماركو ما أن يبدأ بالرسم حتى يصبح كالمأخوذ لا يهتم بأي شيء آخر.»

كان الجوّ في السيارة بينهما ينبض بالتوتر، أحاسيس خطرة أخذت تنتابها فكانت تحاول أن تنبذها. فوراء الإزدراء الواضح الذي كان يشعر به نحوها، شعرت هي بشيء ما بينهما. كان هنالك أحاسيس مشتركة تزداد عمقاً.

كانا يصعدان نحو رأس بحري، وخلال ستار من النخيل لمحت لمعان أنوار كثيرة وكأنها الباخرة في البحر.

«إنه منزل، أليس كذلك؟ يبدو هائل الحجم.»

فقال بلهجة واقعية: «نعم، إنه كبير الحجم.»

سألته بدهشة حين رأته يتجه نحوه: «لماذا نقصده الآن؟»

«ألا تريدين رؤيته؟»

«في هذه الساعة؟ هل جننت؟»

فأطلق ضحكة بطيئة خافتة: «إن الجنون ينفعني. فأنا أقوم بأشياء كثيرة لا يجرؤ غيري على تجربتها.»

لاحت أمامها بوابات حديدية تبلغ حوالي الثمانية أقدام طولاً. فمد يده يمسك بشيء يتحكم في الأشياء عن بعد،

فابتدأت البوابات تنفتح ببطء. فسألته بذهن مشوّش: «هل تعمل هنا؟» لقد بدا لها المنزل من هذه الناحية وكأنه قصر مراكشي.

فقال بضيق واضح: «اسمعي، يا ذات الضفائر الذهبية، إن هذا منزلي.»

فلهثت قائلة: «اوه! كيف أمكن لرجل من عمرك أن يمتلك منزلاً يساوي الملايين؟»

«ها إن آلة تسجيل النقود تتكلم مرة أخرى، انك تفكرين بالنقود، يا شيلي ستيوارت. إنني ذكي والأفضل أن تتذكري ذلك.»

دخلا المنزل من الناحية الجانبية، حيث سارا في ممرات حفلت بها أزهار السوسن، ثم صعدا سلماً إلى حيث واجههما المحيط. وكان يقوم على جانبي المدخل نخلتان رائعتان. وما أن رفعت شيلي نظراتها حتى رأت إمرأة شابة ترتدي ثوباً طويلاً منقوشاً بالأزهار، تندفع نحو الباب. حتى من بعيد، كانت تلك المرأة تحمل طابع سكان شواطىء البحر المتوسط بشكل لا يخفى.

ونادت المرأة بصوت قلق: «راف.»

فكان جوابه: «لقد عدت.»

إنه متزوج إذن. ولماذا لا يمكن هذا لرجل مثله؟

سألته بحذر: «هل أنت متزوج؟»

نظر إليها ببرود: «ليس لديّ زوجة تدفعني إلى الجنون. إنها ابنة خالتي، دانييلا. لقد جاءت من إيطاليا لزيارتي.»

وعندما اقتربت دانييلا، بدت أصغر سناً مما ظنتها شيلي في البداية. فهي في أوائل العشرينات. كانت صغيرة الحجم،

وذات مظهر عصري مرح. فكرت شيلي بأنها ستكون مذهلة الجمال عندما تكبر قليلاً.

مضت لحظة لم تفعل فيها دانييلا أو تقل شيئاً، كانت تنظر إلى شيلي وكأنها لا تكاد تصدق عينيها. وأخيراً قالت وهي تتحوّل إلى راف كونواي: «من هي هذه التي معك؟»

كان سؤالاً فاضحاً ينم عن فساد الذوق ما جعل شيلي تفكر في أن تستدير هاربة. فقد يلطّف هذا من الموقف. وفي لحظة، بدت لها الصورة واضحة.

لقد بدت دانييلا محبة غيورة أكثر منها ابنة خالة زائرة.

الفصل الثاني

استيقظت على صوت رفرفة اجنحة خفيفة خلف الأبواب الزجاجية المتحركة، ففتحت عينيها على منظر متألق يخطف النظر... رؤوس بنفسجية، اجنحة زمردية بخطوط قرمزية وبقع على صدورها برتقالية وصفراء.

كانت قد نامت جيداً، ونظرت إلى ساعتها لترى الوقت، كانت الثامنة تقريباً وكان راف كونواي اخبرها ان تنزل لتناول طعام الافطار في أي وقت يروق لها، أو بدلاً من ذلك، يمكنها ان تطلب صينية الافطار إلى غرفتها، وكان في غرفتها هاتف يمكنها الاتصال بواسطته إلى المطبخ، فقد كان لديه في المطبخ خدم يتعهدون طلبات الطعام. لكم هو غامض السيد كونواي هذا. كانت شيلي تريد ان تعرف كل شيء عنه كما يبدو انه يعرف كل شيء عنها. كان تصرف ابنة خالته دانييلا غاية في العذوبة عندما علمت من هي شيلي، ولكن شيئاً في حركاتها لم يدع في نفس شيلي مجالاً للشك في أنها كلما أسرعت في الخروج من هذا البيت، كان ذلك افضل. وفكرت شيلي وهي تنزل من سريرها، في أن شعورها لا يخطىء. كانت غرفة الضيوف التي نامت فيها، رائعة الجمال، كانت هناك أريكة واسعة منجدة بقماش قطني أزرق اللون، تقوم امامها منضدة مستطيلة منخفضة عليها بعض الزخارف، وكان السرير الواسع من خشب السنديان مثله في ذلك مثل خزانة ذات أدراج وضع على قمتها لوحة كبيرة

www.elromancia.com

رسمت عليها صور طيور ببغاء متألقة الألوان تحيط بها زهور أوركيد وردية اللون، وكان ثمة غرفة للملابس تقوم خلف غرفة النوم، ثم الحمام، وكان كل هذا يدل على ثراء بالغ، أليس من المفروض ان يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي تفكر فيه؟

وضعت عليها معطفها المنزلي، وخرجت إلى الشرفة الرخامية الواسعة التي كانت تشرق على منظر خلاب، كان البحر ممتداً على مدى النظر نحو الأفق، وكانت الجزر تبدو قريبة إلى حد مغرٍ. وكان رصيف الميناء يمتد من خليج مسقوف إلى البحر حيث كان هناك مركب للنزهة. لا شك أن زوج أمها مستعد لبذل حياته في سبيل امتلاكه. وتلاعب الهواء بشعرها يغطي به وجهها، فرفعت يدها ترده إلى الخلف. فقد كانت تكتشف شيئاً في نفسها قد سبق ونسيته، ألا وهو عشقها للشمس، للأجواء المشرقة، للألوان البدائية المتألقة.

وارتفع صوت يحييها من الشرفة السفلى: «مرحباً.»

انحنت شيلي فوق الدرابزين لترى راف كونواي ينظر إليها، فأجابته: «صباح الخير». كان يرتدي كنزة صفراء فوق بنطلون أبيض من الكتان، وقالت بسرور: «لا اتذكر انني سبق ورأيت يوماً بهذه الروعة.»

«إن كل الأيام عندنا بهذا الشكل.»

«وماذا عن الأعاصير؟»

فهز كتفيه قائلاً: «اننا جميعاً بحاجة إلى ريح بسيطة من وقت لآخر، هل نمت جيداً؟»

«قد يسرك أن تعلم ان معنوياتي قد ارتفعت.» وأثناء

حديثها، أخذ الهواء يعبث بشعرها بقوة ما جعله أشبه بذهب ثائر.

«ان شعرك هذا رائع اللمعان.» ومنحها ابتسامة... وبدت في وجنته ثنية عميقة. «ماذا بالنسبة إلى الافطار؟ انني في انتظارك.»

«أحقاً؟ هذا لطف منك.»

ورغم بعد المسافة، فقد رأت عينيه تلمعان وهو يقول: «انك، على كل حال، ابنة ماركو المحبوبة.» وبهذا، افسد كل شيء.

* * *

بدلت ملابسها وسرحت شعرها ثم خرجت.

حياها رجل في حوالي الخمسين، ويبدو من سكان جزر البحر الجنوبي، وكان شعره الأشيب يتناقض مع لون بشرته الداكن. حياها قائلاً: «صباح الخير، يا آنسة.»

أجابت وهي تبتسم مأخوذة: «صباح الخير.» كان الرجل يرتدي سترة بيضاء قصيرة الكمين وبنطلوناً اسود، وحسبته المشرف على المنزل. كانت ملامحه القوية تدل على روح فكاهية ذكية. فسألته: «ومن أنت؟»

«أنا جوزيف، يا آنسة، وأهلاً بك في المنحدرات البيضاء. هل يمكنني القول كم تشبهين والدك؟»

تركت كلماته وطريقة نطقه بها، أثراً عميقاً في نفسها. «شكراً يا جوزيف. انني أرحب برأيك هذا. هل تعرف أبي جيداً؟»

أشرق وجه جوزيف: «نعم، اعرفه. لطالما ذهبنا معاً في

رحلات للصيد. فهو زائر مداوم لهذا المنزل. تعالي من هذا الطريق إذا شئت لأن الافطار سيقدم بجانب البحيرة.»

كان راف كونواي ينتظرها بجانب بحيرة واسعة، وكانت مائدة، هي واحدة من دزينة امثالها هناك، قد نقلت إلى حيث الظل وغطيت بغطاء اخضر داكن فوقه غطاء اقصر ناصع كالثلج، ما جعل منظر الأطباق الصينية البيضاء فوقها والمصممة بشكل أوراق الشجر، وباقة الزنابق المرقطة، جعل منظرها يبدو رائعاً.

فقالت شيلي: «ما أجمل تنظيم هذه المائدة.»

رد راف عليها بانحناءة خفيفة ساخرة: «يسرني انها اعجبتك. اتحبين التفرج على تلك الجزر البعيدة ريثما يأتي الطعام؟» وأشار إلى منظار قريب قائم على ثلاثة قوائم ومثبت إلى بلاطة.

أجابت متحمسة: «هذا يسرني جداً. لا اظنني رأيت شيئاً من قبل بمثل هذا الجمال.»

«ولا أنا، حتى الليلة الماضية.»

وأرسلت نظراته اللامعة، سواء كانت ساخرة أم لا، الاضطراب في نفسها.

حدثت نفسها بأنها لا تصدق هذا. وأدارت المنظار المقرب نحو الجزر، فبدت لها واضحة التفاصيل، كانت مغطاة بالاشجار وتحيط بها شواطىء بيضاء تخطف البصر، ورأت فيها تجمعات مياه خضراء إلى زرقة، هذا إلى نباتات حمراء. وكان هناك زورق صغير لاستعمال الغواصين.

همست مخطوفة الانفاس وهي تبعد المنظار لتنظر في عيني راف: «ما اروع هذا؟»

«أحقاً؟ بالمناسبة، هل تحسنين الابحار؟»

فأومأت إيجاباً وهي تعود إلى المائدة قائلة: «ان لدى زوج أمي مركباً شراعياً طوله ثلاثون قدماً. وقد اعتدت ان ابحر به. ان حب البحر يسري في دمي.»

«لا شك انك ورثت هذا عن أبيك. سآخذك معي يوماً ما، إلى جزيرة الاحلام انني اقوم بتطويرها لتكون منتجعاً.»

فقالت: «لا بد ان هذا يكلفك اموالاً كثيرة ولم تستطع ان تصف التعبير الذي ارتسم على وجهه.» والذي قد يكون ازدراء. فقد سبق واخذ عنها فكرة انها شرهة إلى المال ويالها من نكتة.

فقال: «اني واثق من أن الأرباح ستعوض علي التكاليف.»

فشملت بنظراتها الطبيعة الممتدة أمامها. «عليك ان تكون حذراً جداً في هذا المكان فلا تفسد جماله الطبيعي.»

فأومأ قائلاً: «اننا صممنا فعلاً على ذلك. ان «الاحلام» هو منتجع لأولئك الذين يقدرون روائع الطبيعة.»

فسألته: «ولماذا دعوته بهذا الاسم «الاحلام»؟»

«ذلك لأنه يحتوي على تلال في وسطه هي أشبه بالحلم.»

فسألته متشككة: «هل أنت شاعري؟»

«ألا تظنين ذلك؟»

أجابت: «بصراحة، كلا.» وتوهج وجهها مما أبرز لون شعرها الذهبي. «ولكن اخبرني من فضلك عن جزيرتك. من أين تأتي بالمال للقيام بذلك؟» وكان هذا سؤالاً أحمقاً ولكنها لم تستطع منع نفسها من إلقائه. وإذ رأت النظرة الغريبة التي ارتسمت في عينيه، سارعت تقول وهي تكبت

www.freeromance.com

رغبة تملكتها في استفزازه: «كل ما في الأمر أن ثراءك حيرني. إن مركب النزهة وحده يساوي أكثر من مليون.»

«اتعلمين أن عينيك تتألقان كلما تحدثت عن النقود؟»

«هذا كلام فارغ.» ونزعت زهرة من الزهرية واخذت تفتلها: «أنا لا أبغي سوى إجراء حديث للتسلية. اخبرني، هل لديك مقلع للرخام؟ فأنا أرى الكثير منه حولي.»

ألقى عليها نظرة لاتكاد تخفي تهكمه. «لقد كان لدى جدي هذا المقلع، فورثته عنه.»

«وماذا ورثت عنه أيضاً؟ إنه سؤال للتسلية فقط.» فمد يده يأخذ الزهرة من يدها وهو يقول: «هذا شيء لا يهمك.»

«أريد ان اعلم ذلك على كل حال، إذ يبدو أن لديك اكثر كثيراً مما كنت اظن.»

سألها: «اتراك تفكرين في انشاء علاقة بيننا؟»

احمر وجهها وهي تتساءل كيف سمحت لنفسها بأن تنزلق في الحديث إلى هذا الحد. «إنشاء ماذا؟»

«انشاء علاقة معي، من الواضح أن المال يجذبك.»

«ربما... ولكنني غير منجذبة اليك قطعاً.»

فعاد يسخر منها قائلاً: «يا لعيني الغزال البريئتين. إن سروري بالغ لكونك لم تنجذبي إليّ، لأن ذلك سيسبب فقط زيادة الاختلاف في الرأي. والآن، اسمعي. إن ماركو هو الشخص الوحيد المهم، ولا أريد أياً منا أن يسبب له القلق.»

وجاء طعام الإفطار ما منح شيلي وقتاً تستعيد فيه ضبط النفس، كانت شديدة التأثر بوجود راف كونواي امامها، وقد ملأتها الكراهية لفكرة أنه قد يعتبرها مادية جشعة للمال. ان بامكانها ان تفسر أمر عدم ردها على رسائل أبيها، وذلك

في دقيقة واحدة، ولكنها كانت قد أمضت حياتها تسند وتحمي أمها، فليس بإمكانها أن تخدعها الآن حتى وإن كان ذلك لتيسير أمورها. هذا إلى أنه لن يصدق أي شيء تقوله، فإن خصامهما متبادل، يزيده قوة هذا الانجذاب بينهما.

كان الطعام لذيذاً، عصير فواكه وقهوة، وشرائح أثمار المانغا، والبيض المقلي، والسجق والبندورة المشوية، وكرات الخبز الطازجة والتي مازالت ساخنة.

كانا يستمتعان بفنجان القهوة الثاني عندما برزت دانييلا تجتاز المرج الأخضر، كخيال من الزئبق يومض من بعيد، وجاء الصوت بالإيطالية: «صباح الخير.»

أدار راف كونواي رأسه، ومالبث أن دفع كرسيه إلى الخلف ووقف. «دانييلا؟» نظر إلى ساعته الذهبية وأضاف: «لا استطيع تصديق عيني وأنا اراك مستيقظة والساعة مازالت التاسعة والربع.»

فسارت إليه: «لا تكن مشاغباً. فأنا استيقظ باكراً احياناً.» ثم حولت نظراتها المتألقة إلى شيلي. «صباح الخير يا سينيورا، هل نمت جيداً؟»

فابتسمت شيلي. واجابت: «جيد جداً، وأرجوك أن تدعيني باسمي شيلي.»

«هذا لطف منك.» وجلست دانييلا على الكرسي الذي قدمه لها ابن خالتها، وقالت: «لا بد أن والديك كانا يحبان الشعر فاطلقا عليك اسم الشاعر شيلي، هذا.»

أجابت شيلي وهي تستنشق عطر الياسمين الغالي الذي يفوح من الفتاة: «في الحقيقة، لقد اطلق علي اسم جدتي

www.elromancia.com

لأبي، فقد كان اسمها شيلي. وقد ولد أبي في انكلترا ولكنه ترك الوطن وهو لم يكد يبلغ العشرين.»

ألقت دانييلا عليها نظرة رزينة: «لا يبدو عليك انك انكليزية، حتى كأنك من شمال إيطاليا، بالنسبة إلى شعرك الرائع وعينيك البنيتين وبشرتك السمراء. لقد اخبرني راف أن أمك إيطالية.»

إذن، فقد كانا تحدثا عنها، حدثت شيلي نفسها بذلك محاولة ألاّ يبدو عليها الغضب، وما الذي يمنعه من ذلك مع ابنة خالته العزيزة هذه التي يبدو غرامها به واضحاً؟ وأخيراً، استطاعت شيلي أن تقول بسرور: «من الغريب اننا، أنا وأمي، غير متشابهتين كثيراً، فجمالها الرائع من النوع الباهر، وقد ورثت عنها لون عينيها وبشرتها السمراء، ولكن شعرها أسود لامع كشعرك. يقولون انني أشبه أبي كثيراً. وأنا انكر جيداً لون شعره ولحيته الذهبية.»

نظرت إليها دانييلا بعنف جعل شيلي تشعر برغبة في الإختباء تحت المائدة، بينما كانت دانييلا تقول: «كم كان فظيعاً فراقكما ذاك. لا بد أنه دمر حياة أبيك.»

أجابت شيلي وهي تنظر إلى راف كونواي: «ولكن ذلك الفراق لم يكن حسناً بالنسبة إلينا نحن أيضاً.» ولكن نظرتها ذات المعنى إلى راف بدا أنها لم تؤثر عليه بشيء، فعادت تقول: «شكراً لهذا الإفطار اللذيذ. والآن، إذا سمحتما، أريد أن اذهب لتنظيم غرفتي ثم أقوم بنزهة على الشاطىء.»

فقال وهو يبدو غاية في الوسامة والعجرفة: «لديك ما تشائين من وقت.»

أخذت شيلي تسوي شعرها المسترسل، وهي تقول: «أحب أن أعود إلى المنظر الجميل. لقد كنت وعدتني بأخذي إلى هناك.»

فأومأ قائلاً: «بالطبع.»

سألت دانييلا وهي تتقبل بكل رقة فنجاناً من الشاي من يد ابن خالتها: «هل المنظر الجميل هو مزرعة قصب السكر القديمة؟»

فقالت شيلي: «انها أشبه بالحلم، فزهور الأوركيد تتسلق جدران المنزل من الداخل والخارج.»

هزت دانييلا كتفيها، كان واضحاً أنه ليس نوع المنازل الذي يعجبها.

فقال راف بلطف: «هذا يذكرني بأن آخذ إلى هناك بعض العمال. فالمكان بحاجة إلى تنظيم، وليس لدى ماركو الوقت الكافي لذلك. سآخذك قبل الظهر إلى هناك، ثم أعود إليك لإحضارك عند العصر، هل هذا يناسبك؟»

«إذا كانت الكلاب لدي هناك، فيمكنني البقاء.»

قالت دانييلا بحماس: «نعم. إنني حقاً لا أحب الكلاب، ولكنها جيدة بالنسبة للحماية.»

وقفت شيلي وقالت: «إنْ واحداً منكما وافقني على رأيي على الأقل، هل يحسم هذا الموقف؟»

فقال راف معترضاً: «ليس بالنسبة إليّ. فهذا ليس ما يتوقعه ماركو مني، وعليك بالبقاء هنا إلى حين عودته.»

انطلقا في الساعة العاشرة والنصف وفي الوقت الذي وصلا فيه، كان أربعة من العمال قد سبق وانقضوا على الأرض يقتلعون الأعشاب النابتة. كان المدخل قد نظف،

وأزيحت أزهار الزنبق إلى الجانب، فتدفقت أشعة الشمس امام المنزل. وكانت دانييلا قد جاءت معهم فجلست بطبيعة الحال في المقعد الأمامي حيث أخذت تتحدث بمرح. كانت تتدفق بالحياة، وكانت ترتدي ثوباً جميلاً اصفر اللون ملائماً للون بشرتها المشرق. وعلمت أن والدي دانييلا كانا صاحبي معمل للبضائع الجلدية. وعمتها تعاملت بالمجوهرات وكانت مشهورة ورائعة الجمال. وكان لديهم فيلا رائعة في الريف خارج فلورنسا، زهرة المدن، حيث تسكن هي ووالداها، وكان راف هو المفضل لديهم جميعاً، وجعلت شيلي تعرف أنها وهو تربط بينهما روابط الدم إلى صداقة عميقة منذ كانت طفلة. كان حديث دانييلا مشوقاً جداً وجعل شيلي تعلم الوضع بأكمله. حتى انها لم تكن تظن أن دانييلا ستعود إلى موطنها دون خاتم الخطبة في اصبعها.

فتح راف لهما الباب، ثم توجه رأساً ليتحدث إلى رئيس العمال والذي كان عملاقاً أحمر الشعر.

سألتها دانييلا وهي تنظر في أنحاء غرفة الجلوس: «كم تظنين ستمكثين هنا؟»

فقالت شيلي وهي تدير إحدى المروحتين: «لم أقرر بعد.»

قالت دانييلا وهي تتوجه نحو لوحة كبيرة على الجدار: «أظن ان ذلك يعتمد على أبيك.» وأردفت بدهشة. «هذه لوحة بالغة الجمال.»

أومأت شيلي: «انها جميلة بالتأكيد، لقد رسمها أبي.»

«طبعاً، لقد تذكرت الآن أن راف كان قد قال إنه يرسم، لقد

اعتدت رؤية الفنون الرفيعة طوال حياتي، اتعلمين كم تساوي لوحة كهذه؟»

أجابت شيلي من فوق كتفها: «لا بد أنها تساوي ألوفاً كثيرة.»

«أحقاً؟ ما اعظم أن يكتسب المرء كل هذه النقود من القيام بعمل يحبه، إنني أحب أن أجتمع بأبيك. لم استطع رؤيته في آخر مرة كان هنا، ذلك أنه لم يكن بصحة جيدة لعدة أشهر.»

تملك شيلي القلق وسألتها: «هل أنت واثقة، يا دانييلا؟»

فاستدارت إليها دانييلا ثم هزت كتفيها: «اظن ذلك، عليك أن تسألي راف.» وسكتت برهة ثم عادت تقول: «اظنه كان مهتماً بزيارتك.»

فسألتها شيلي بشيء من الغضب: «من أية ناحية؟»

فقالت دانييلا بفزع: «أرجوك، لا تستائي مني، ان علاقتي براف حميمة جداً، فهو يخبرني بأشياء لا يخبر بها أحداً آخر.»

«لا بأس في هذا، ولكنني حقاً لا أريده أن يتحدث عن أموري الخاصة.»

نظرت إليها دانييلا حائرة: «إن لك طبعاً حاداً.»

هزت شيلي رأسها: «انني هادئة في الأحوال العادية. علي أن اتحدث إلى ابن خالتك. هل أقدم إليك شراباً بارداً؟»

«كلا، شكراً، إننا سنذهب قريباً.»

«إذن تعالي معي إلى المصطبة في الخارج.»

وقفتا هناك عدة دقائق حيث ملأت دانييلا شيلي بالحديث عن علاقاتها العائلية، وكان واضحاً أن الدافع

إلى ذلك هو رغبتها الملحة في جعل وضعها في حياة إبن خالتها واضحاً تماماً لشيلي. كانت قرابتها منه من ناحية الأم، فجد راف، بيترو مارنت، كان قد هاجر إلى استراليا بعد مشاجرات كثيرة مع والده. كان راف يمضي كثيراً من الوقت مع بنات خالاته، منذ الطفولة، وكانت دانييلا، بالطبع، هي المفضلة لديه تماماً.

سألتها شيلي: «وماذا عن والديه؟ هل مازالا يعيشان في المنطقة؟»

بدت الكآبة على ملامح دانييلا: «لقد قتلا، هما الاثنان، عندما كان راف صبياً، كان ذلك في حادث تصادم فظيع، فذهب راف للعيش مع جده بيترو.»

ارتجفت شيلي. لم يخطر ببالها قط أن راف كونواي قد حدثت له مأساة كهذه. لا عجب إذن أن ادانها بمثل هذه السهولة إذ كان يعتقد بأنها رفضت اتصالات أبيها بها.

بعد ذلك بعشر دقائق، انضم هو إليهما، وقد بدا وسيماً مليئاً بالحيوية، وشعرت شيلي بشيء من العطف على دانييلا لتشوقها إليه، وقال هو لشيلي بلهجة عملية: «إن العمال يعرفون ما يعملون، فإذا كان هناك شيء آخر تريدينهم أن يصنعوه، فكلمي في ذلك، كليف. ان النباتات تنمو بسرعة هنا، وأسبوع واحد هو مدة طويلة.»

قالت دانييلا: «ألا يمكنني حضور الاجتماع العملي الذي ستحضره؟»

أجاب بعطف: «كلا، يا دانييلا، لا يمكنك ذلك، فقد حاولت في المرة الأخيرة، التأثير على مدير المصرف.»

«إذن، فسأذهب للتسوق.» وأسرعت دانييلا في سيرها

متلهفة إلى الخروج، ولكن راف تمهل على قمة السلم ليسأل شيلي: «هل ستكونين على ما يرام؟»

نظرت في عينيه وأجابت: «طبعاً. فأنا، عادة، أحسن رعاية نفسي.»

توترت ملامحه، وقال: «اظنك كذلك.»

«هل عدت لتصدر حكمك القاسي مرة أخرى؟»

«ذلك لأن كلامك متناقض.»

فأحنت رأسها ما جعل شعرها يغطي قسماً من وجهها «وما ذنبي أنا إذا كنت لا تريد أن تقتنع بما أقول؟»

وتساءلت شيلي عن السبب الذي يجعله لا يذهب ويدعها وحدها. لقد بعث راف كونواي الإضطراب في حياتها المنتظمة.

قال بصوت هادىء: «ماركو.»

فشعرت شيلي وكأنها تريد أن تنفجر باكية إزاء الأحاسيس الغريبة التي تملكتها. وقالت: «لقد اعتادت أمي أن تقول إنني خلقت بصورة أبي.»

«وبماذا كان يشعرك هذا؟»

«يشعرني بالسرور، من الواضح ان هذا لن ينال تقديرك.» وأطلق ضحكة جافة وهو يضيف: «وكذلك ماركو غير واثق مما يظنه، هو أيضاً. إنه سيعود يوم الجمعة.»

سألته وقد تملكها الفرح: «هل تكلمت معه؟»

قال معترفاً: «نعم، إنما باختصار.»

«كم كان انتظاري طويلاً.»

«هل هذا صحيح؟»

فوجئت بلهجته هذه، فقالت بصوت منخفض يملؤه

الغضب: «انك طبعاً لم تقترف أي خطأ، فأنت رجل متكامل، حسناً، لا اريدك ان تديننني كما لا اريدك ان تتحدث عني إلى ابنة خالتك، إنني اعترض على هذا جداً، واهتم بنفسك فقط، ان هذا شيء يخصني أنا وأبي فقط، وليس أي أحد آخر.»

كانت ترتجف إلى حد قال لها معنفاً: «إذا كان هذا شعورك، فكيف تظنين شعور ماركو طوال السنوات الماضية؟ أما كان بإمكانك أن ترسلي حتى كلمة شكر واحدة؟ إذ من الواضح أن ارسالك صورة لك إليه هو شيء كثير، اخبريني إذن... ما الذي يجعلني اكوّن عنك فكرة حسنة؟ لماذا عليّ ألاّ اتساءل عن السبب الذي جعلك تظهرين فجأة؟ ربما كان ماركو اخبرك أنه جمع مبلغاً جيداً من المال في السنوات الأخيرة، ليس فقط من وراء رسومه وإنما من أعماله التجارية...»

تملكتها عاصفة من الغضب غيرت من شخصيتها الهادئة الرقيقة، فاندفعت نحوه وهي تترنح ثم ضربته على صدره بقبضتها الصغيرة وهي تقول صادقة: «لم أكره في حياتي شخصاً قط كما اكرهك.»

«اتظنين انني اعبأ بهذا؟ إن سعادة ماركو هي كل ما يهمني، وانت تمسكين حياته بيديك هاتين. فارتجفي كما تشائين.»

وجاءهما صوت دانييلا من السيارة: «راف، تعال أرجوك، ان الحرارة شديدة في السيارة.»

شهقت شيلي قائلة: «نعم، اذهب، ولا تحمل نفسك عناء العودة. لا افهم أبداً ما الذي جعل من أبي صديقاً لك.»

سألها وعيناه تلتمعان تحدياً: «وما الذي تعرفينه عن

والدك؟ لقد تخليت عنه منذ كنت في السابعة من عمرك.» يا للقسوة، ويالللظلم، فابتعدت عنه، دخلت إلى المنزل مغلقةً الباب الأمامي خلفها بصوت مسموع، ولتظن دانييلا ما يلحو لها.

استمر العمال في العمل حتى الساعة الثالثة، كانوا قد توقفوا لفترة قصيرة ليشربوا الشاي ويتناولوا بعض الشطائر وذلك عند الظهيرة، وبعد ذلك، أصر كليف على شيلي أن تقوم بفحص الأرض لترى ان كان عملهم يرضيها، قال بابتسامة عريضة: «عندما يأخذ ماركو في العمل، فهو يهمل كل ما حوله، ان الرئيس يعتني بالبيت بشكل حسن، في الواقع، والآن أنت وحدك، يا آنسة شيلي، فلا تسيري في الأنحاء حافية القدمين، فقد يلدغك شيء ما.»

«اتعني أنه يوجد حيات؟»

«لا تذهبي إلى تلك السقيفة الخلفية، إياك، فقد وضعت في الأنحاء شيئاً من السم ضد الحشرات المؤذية، فإن ذوات الظهر الأحمر تحب الذهاب إلى هناك.»

«أتعني الرتيلاء؟»

فارتسمت ابتسامة عريضة على وجه كليف فبدت معها سن مفقودة في فمه. «هذا صحيح، يا سيدتي. لا ضرورة للذعر، الوعي فقط هو المطلوب.»

فقالت: «سأكون واعية، يا كليف.»

ومن الشرفة، لوحت للرجال مودعة، ثم جلست على كرسي تحدق امامها. كانت رائحة العشب المقصوص ممزوجة بشذا أزهار لا يحصى عددها. كانت مواجهتها تلك مع راف كونواي قد بعثت في نفسها استياءً بالغاً، بل لقد

اعماها الغضب، والحق يقال. وإلا، فمتى كانت تهاجم الغير بهذا الشكل؟ لقد كانت دوماً فتاة هادئة منضبطة، حتى انها سمعت البعض يصفها بأنها المرحة المشرقة على الدوام، ومع ذلك، فقد فقدت هذه الصفات منذ اللحظة التي دخل فيها راف كونواي حياتها. فإذا كانت تريد العودة إلى ما كانت عليه، فعليها أن تجعل لنفسها قوقعة تحتمي فيها منه.

ولكن، آه، لماذا كذبت عليها أمها بهذا الشكل؟ لماذا أخفت عنها كل تلك الأسرار؟ تلك اشياء قامت بها من قبل، وستتابع القيام بها فيما بعد، وبهذا تتقوض العلاقات الانسانية، ولكنها لن تحاول أبداً إقناع راف كونواي بأنها، هي، كانت ضحية بريئة. ان بإمكانها فقط ان ترجو عطف أبيها، ولكن، حتى حينذاك، فهي لن تخدع أمها.

بعد الظهر، شعرت شيلي بالرضى لما قامت به من تنظيم. لقد عثرت على مرسم أبيها، وكان عبارة عن غرفة أرضية واسعة، فإذا فتحت نوافذها، فالنور سيتدفق إليها، فلم تلمس شيئاً إليها وذلك احتراماً لخصوصيات أبيها، ولكنها استمتعت بالنظر إلى ادوات الرسم.

كانت هناك لوحة زيتية قد انتهت ومازالت مسندة إلى الحامل، وكانت عبارة عن منظر في المناطق الإستوائية. لشد ما ستكون سعيدة إذا هي وقفت لترسم بجانب أبيها، إذا هما قاما بالأشياء التي يحبانها، معاً، إنها اعجوبة أن ترث موهبة أبيها، رغم أنها تظن أنها لن تصبح بمهارته أبداً. كانت قد نوت أن تسأل راف عما كانت دانييلا تعنيه بقولها إن أباها بقي أشهراً معتل الصحة، حتى الآن مازالت تشعر برجفة تتملكها كلما فكرت في ذلك، كلا، لا يمكن أن يكون

أبوها الآن مازال مريضاً، فهذه ستكون قسوة ما بعدها قسوة، ومن المؤكد ان راف كونواي كان سيخبرها لو ان أباها كان يعاني من مرض خطير. ربما كان قد أجريت له عملية، وهو الآن في طور النقاهة؟ إنها ستسأل راف عندما تراه مرة أخرى.

كانت الفراشات البراقة الألوان تتنقل حولها بين النباتات واسراب الطيور تحلق عالياً في أشعة الشمس الذهبية.

كانت بوابات الحديد قد ثبتت والنباتات الزاحفة شذبت، وابعدت عن صندوق بريد قديم، ولم تظن انه استعمل يوماً ما، فقد كانت المزرعة بعيدة جداً عن المدينة، ولكن، قد يستخدم هذا الصندوق لوضع بطاقات الزائرين أو الملاحظات المكتوبة.

رفعت شيلي غطاء الصندوق ونظرت إلى داخله، لم يكن هناك سوى كومة من أوراق الشجر الجافة، مدت يدها تخرجها وإذا بها تشعر بلسعة حادة خاطفة.

قفزت إلى الخلف وهي تشتم، فرغم كل التنبيهات، قامت بعمل غبي إلى حد لا يصدق. لقد لسعت، حتى ولو لم تكن هذه اللسعة مؤلمة بشكل خاص، وربما كانت ردة فعلها تلك نابعة من مشاعرها لا غير، إذ لا احد يحب أن يلدغ أو يلسع، ونظرت عابسة إلى مكان اللدغة حيث كان ثمة ورم طفيف. وكان غطاء صندوق البريد ما يزال مفتوحاً وتساءلت عما إذا كان عليها أن تعرف ما لدغها، وإذ بها ترى رتيلاء صغيرة سوداء ذات خط أحمر على ظهرها، تنزل إلى حيث السياج السميك فتوارت فيه.

أتكون هي الرتيلاء الحمراء الظهر الشهيرة؟ وشعرت

شيلي بالدوار ولم تكن واثقة من أن ذلك هو من علامات اللسعة أم هو نتيجة الصدمة التي اصابتها بعد إذ علمت بذلك، كانت تعرف شيئاً عن الإسعافات الأولية، فضمدت مكان اللسعة.

* * *

عندما عاد راف كونواي، وجد شيلي جالسة على أريكة في المنزل.

قال بلهجة يسترضيها بها: «ما هذا؟ أهو الجمال النائم؟»

كان جلدها متوهجاً ويتصبب عرقاً، وبدت غير قادرة على النهوض، فتغيرت ملامحه بسرعة البرق وهو يهتف: «ما بك.» وتقدم نحوها بسرعة ليجثو على ركبته بجانبها وهو يقول: «لا اعرف لماذا، ولكنني أحسست بأن هناك شيئاً سيئاً.» ونزع الضماد الذي كانت وضعته حول يدها، ثم فحص الورم بعين خبيرة، كان نبضها مسرعاً، فساد الشحوب وجهه الأسمر. ما كان ينبغي لهذا أن يحدث.»

فهمست شيلي: «هذا صحيح، ما كان ينبغي ذلك، لم أكن أريد قط أن اقولها، وهي أنني مسرورة لعودتك.»

فقال وهو ينظر إليها بهدوء: «وهل كنت ظننت أنني لن أعود؟ لا تحاولي الكلام، فسأذهب إلى المطبخ لأحضر بعض الثلج.»

حدقت في أثره، وقد امتلأ شعورها ارتياحاً، ولكنها مازالت غير قادرة على النهوض، وشعرت بغصة في حلقها وكأنها امضت ساعات في البكاء، هل هذا ما يحدث للانسان

إذا لسعته رتيلاء؟ وتملكها الدوار وتشوش الذهن فلم تعد تستطيع التفكير.

عاد راف في لحظات حيث وضع كمادات باردة على مكان الإصابة، ثم ربطها وهو يقول: «ما هذا الأمر البشع الذي حدث؟ انك شجاعة تماماً.»

تمتمت وهي تغمض عينيها: «كلا، أنا لست كذلك، وإذا كان هذا، فلأنك موجود هنا فقط.»

فقال لها وقد توتر فمه: «إنني سآخذك إلى المستشفى. فقد لسعتك رتيلاء حمراء الظهر، ولكن هناك مصل مضاد لسمها فلا تخافي، ثقي بي يا شيلي.»

فقالت بصوت مرتجف: «إنني أثق بك.»

www.elromancia.com

الفصل الثالث

«إستيقظي، إستيقظي.» هتف بها هذا الصوت، فانقلبت شيلي على ظهرها لتحدق في وجه مستدير أحمر الخدين فوقه قبعة ممرضة. «أنا آسفة إذا أيقظتك، يا عزيزتي، فقد حان وقت إجراء بعض الفحوصات، أجلسي. يا للفتاة الطيبة.»

فحاولت شيلي جهدها للانتباه. ولكنها في الواقع، لم تسنح لها فرصة اغماض، فالمستشفيات هي أمكنة بالغة الضوضاء. والعلامات الخطيرة قد لوحظت بدقة. تعثرت بأغطية الفراش إلى أن رفعتها الممرضة باريش حيث اجلستها، ومن ثم دست ميزان حرارة في فمها، ثم أخذت تحدثها بوجه مشرق رغم أن شيلي لم تستطع التجاوب معها.

«لقد كنت سيئة الحظ، يا عزيزتي. كان عليك أن تتذكري أخذ تدابير وقائية هنا، فأنت في مناطق إستوائية. ولكنك استجبت بشكل جيد إلى المصل المضاد للسموم، ساعد على ذلك فتوتك وصحتك. وسنخرجك من المستشفى في خلال يومين.»

«في خلال يومين؟»

فقالت الممرضة: «أتظنين هذه المدة طويلة؟ إن بعض من تلسعهم الرتيلاء الحمراء الظهر يبقون هنا اسبوعاً.» وسارت إلى نهاية السرير حيث أمسكت بسجل حرارة شيلي لتضيف إليه عدة خطوط. «ابتهجي يا عزيزتي فسنرعاك جيداً.»

«أنا شاكرة جداً، ولكن، يومان؟ إن أبي سيحضر من السفر.»

«لا تتذمري الآن، يا عزيزتي. إنك، على الأقل، لا تتألمين كالبعض هنا. إن السيد كونواي سيزورك هذا الصباح فهو لم يذهب إلى بيته إلا بعد آخر فحص أجري لك. لقد كان في غاية القلق. فقد بقي هنا إلى أن اتضح للدكتور ريغبي كل شيء، إن السيد كونواي هو من المتبرعين الكبار للمستشفى، تماماً كما كان جده. إننا جميعاً نحترمه.»

أدرات شيلي عينيها الناعمتين نحو الممرضة، وقالت: «أنا أيضاً أكاد أكون معجبة به. فقد كان وجوده معي أمس يعني كل شيء.»

نظرت إليها الممرضة بمكر ضاحك وهي تقول: «إنه صديق جيد، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

أجابت شيلي: «إنني لم أعرفه إلا منذ عهد قريب. إنه صديق أبي وشريكه.»

«أحقاً؟ ومن هو أبوك؟»

«إنه مارك ستيوارت. هل تعرفينه؟»

بدا الاهتمام واضحاً على ملامح الممرضة: «هناك كثيرون يعرفون أباك. فلقد تردد على المستشفى هنا عدة مرات.»

قالت شيلي بلهجة بان فيها الذعر: «على هذا المستشفى؟»

قالت الممرضة تخفف عنها: «فقط لفحوصات عادية، يا عزيزتي. إن علينا جميعاً القيام بمثل ذلك. والمضحك أنني كنت أتساءل بمن يذكرني وجهك. والآن عرفت ذلك. ألم تري أباك منذ وقت طويل، يا عزيزتي؟»

أجابت وهي تحاول أن تبدو طبيعية، ولكن عينيها كانتا متسعتين: «كلا. فأنا قادمة من نيوزلاند في إجازة.»

«وإذا بريتلاء حمراء الظهر تلسعك. وهذا ما أسميه حظاً منحوساً.» واتجهت الممرضة نحو الباب بنشاط. «لقد انتهى عملي الآن. تلك هي عربة الإفطار في نهاية الممر. وبعد ذلك يمكنك أن تنهضي من سريرك وتغتسلي. ما أجمل أن يكون لك غرفة خاصة، أليس كذلك؟»

* * *

قبل الظهر، كانت قد عادت لترتاح متكئة على الوسائد وقد شردت بها الأفكار، حين ظهر راف كونواي عند عتبة الباب.

وشعرت بأنه سيغمى عليها لحدة نظراته تلك، كان يرتدي بنطلوناً بلون الرمال وقميصاً اخضر قاتماً. وكان يحمل أجمل سلة أزهار رأتها قط. كانت ألوانها بسيطة... بيضاء وخضراء... ولكن الأزهار كانت ثمينة ذات شذى عطر. كان فيها الورود، والأوركيد، والزنبق، والياسمين، وبان السرور في عينيها، «ما أروعها. هل هي لأجلي؟»

قال بصوت رقيق: «ليس لأحد سواك.» ووضع السلة على الأرض بجانب سريرها لتسرّ بمنظرها، ثم اقترب من السرير، يسألها: «كيف حالك؟ ما زلت شاحبة الوجه جداً.»

قالت بصوت منخفض: «إنني أحسن كثيراً. وأنا أريد أن أشكرك.»

كان واقفاً دون حراك يحدّق إليها، ولكنها عندما تكلمت استدار يبحث عن كرسي. «الشكر ليس ضرورياً، وأنا آسف فقط لحدوث هذا لك. ويساورني شعور بأن الذنب في ذلك هو ذنبي.»

فقالت محتجة: «آه، كلا. كان عليّ أن أكون أكثر وعياً. وأنا لن أقوم مرة أخرى بمثل هذه الأشياء الحمقاء.»

«أرجو ألا يكون ذلك. لا أريد أن أعاني من ذلك مرة أخرى.»

«وهل كنت قلقاً؟»

«من المؤكد أن الجواب هو نعم.»

فتسارعت دقات قلبها. «ولكنك كنت غاضباً تماماً عندما خرجت.»

فنظر في عينيها وهو يجيب: «هذا صحيح.»

قالت: «لقد اخبرتني الممرضة أنك بقيت طوال الليل؟»

فأومأ برأسه، «بقيت في سرير لا أريد أن أنام فيه مرة أخرى. لقد قال الدكتور ريغبي ان عليك أن تخرجي من هنا بعد يومين.»

«ولكن أبي سيصل الجمعة.»

«لا تستعجلي إذن. كوني مريضة مثالية اليوم وغداً. وربما سيسمحون لك بالخروج الجمعة.»

فقالت ضارعة: «لا بد أن يسمحوا لي بذلك، فأنا أريد أن أكون في استقبال أبي عند نزوله من الطائرة.»

فقال بتجرد تام: «ستكونين بحاجة إليّ.»

«إنك ستكون عوناً كبيراً لي.»

قال بشيء من التهكم: «ما أشد سروري. إنك تعرفين جيداً كيف تؤثرين على الآخرين.»

تنفست شيلي بعمق، وقالت: «تعني عندما يناسبني ذلك؟»

«هل تريدين أن تقولي إنك لست في أعماقك فتاة أنانية حذرة؟»

قالت تتوسل إليه بلطف: «لا تدع الحديث بيننا يكون بهذا الشكل. إنه يضايقني.»

ساد صمت قصير سألها بعده وكأنه يتحدث إلى طفل مريض: «أتريدين شيئاً لاحضره إليك؟»

أدارت رأسها لتنظر إلى سلة الأزهار الرائعة، وهي تقول: «لا أظن ذلك، في الواقع. من الواضح أن لديك من أمكنه أن يحضر لي بعض الأشياء التي أحتاجها.»

فأومأ قائلاً: «دانييلا.»

«كان ذلك كرماً منها.»

«في الواقع، لقد أرسلت إليك أطيب تمنياتها. لقد أرادت المجيء لزيارتك، ولكنني رأيت من الأفضل أن تبقي هادئة.»

تنهدت شيلي: «ذلك سهل في هذه الغرفة الخاصة. لماذا لم تضعوني في القاعة العمومية مع مرضى آخرين؟»

قال بحزم: «كلا، وسأدفع أنا كل مصاريف المستشفى يا شيلي. فهذا أقل ما يجب عليّ عمله.»

هزت رأسها غير موافقة: «هذا غير معقول.»

«إنه معقول بالنسبة إليّ. كان عليّ أن أدرك أنك غير معتادة على العيش في المناطق الإستوائية، فلو أنك بقيت في بيتي لما حدث شيء كهذا.»

فقالت بتردد: «لا أدري.»

فضحك قائلاً: «ربما سبق وأفلت كل شيء من أيدينا. الشيء العظيم هو أنك تحسنت كثيراً.»

* * *

كان موعد هبوط الطائرة القادمة من سيدني الساعة

الثانية والثلث بعد الظهر. وكانت شيلي مع راف كونواي في غرفة المسافرين محاولة أن تسيطر على مشاعرها المضطربة، إذ انه يوم بالغ الأهمية بالنسبة إليها. وكان شعورها من المرح والبهجة ما أشبه بالوناً قد ينفجر في أية لحظة. هل ما زال أبوها كما هو؟ إنها لا تعني المظهر فإن ستة عشر عاماً قد مرّت... ولكن هل ما زال يحبها؟ كانت ترتجف. وكانت قد فقدت من وزنها عدة ارطال، ولكن الدكتور ريغبي كان قد أخلى سبيلها تبعاً لرغبة راف كونواي ولرعايته، وقد بقيت معه عدة ساعات، ولكن الغريب أنه كان رقيقاً معها. وقد تخلى عن التحدي ليرعاها كأخ. ولم تعرف كيف تفي دينه هذا إذ جعل الأمور في منتهى اليسر بالنسبة إليها. إنما، حالياً، كان كل كيانها مركزاً على عودة لقاءها بأبيها مرة أخرى.

قال راف محاولاً تهدئتها: «حاولي تمالك أعصابك، يا شيلي. يبدو عليك وكأنك تمزقين نفسك أشتاتاً.»

«تباً لعصبيتي هذه. كيف ترى مظهري؟»

فقال بصوت جاف: «أحسن من الآيس كريم.»

«ألا تظن أن عليّ أن أربط شعري إلى الخلف؟»

ألقى نظرة عامة على شعرها ثم قال: «هل تسخرين مني؟ إن مظهرك انيقاً.» وكان في كلامه لمحة من سخريته الماضية.

فقالت بهدوء: «أريده أن يعرفني.»

قال وهو ينظر من فوق رأسها: «إنه سيعرفك، فلا تقلقي. ها قد جاء الباص الكهربائي، وتلك هي طائرة ماركو تصل إلى الأرض.»

استقرت الطائرة، وابتدأ المستقبلون ينساب خارجاً من مبنى المطار للترحيب بأصدقائهم وأقربائهم.

ولم يظهر أثر لأبيها. وبدأ كثيرون من السائحين في ركوب العربات أو سيارات الليموزين متجهين نحو الفنادق الفخمة التي تبعد ساعة بالسيارة.

هزت شيلي ذراع راف بلهفة: «أين هو؟»

قال: «إنه لن يتأخر.»

ازدردت شيلي ريقها وقد بدأت الذكريات تعود بها إلى الماضي، قوية حلوة. وفجأة ظهر رجل طويل القامة ذو شعر أشقر يتألق في أشعة الشمس، وذلك من باب الطائرة الخلفي.

نظر الرجل الأشقر حوله، ثم هبط السلم. كان يرتدي ملابس بسيطة هي عبارة عن قميص أزرق وبنطلون بني، ومع أنه بدا نحيلاً جداً، فقد بدت حركاته مماثلة برشاقتها لحركات شيلي.

شعرت بغصة في حلقها. كان الحب له يؤلمها. وشعرت بأنه لم يتركها إلا أمس فقط.

كان راف كونواي يقول لها: «إذهبي إليه. فقد انتظرك طويلاً.»

رفعت عينيها إليه وكانتا مغرورقتين بالدموع. «إنني أحب أبي، فقد كان عالمي كله.»

فقال لها متحدياً: «إذن، برهني على ذلك.»

أشاحت بوجهها وقد برّح بها العذاب. وعندما رأت أباها يقترب، مرت كل حياتها أمام عينيها. فاندفعت نحوه بذراعين مفتوحتين وقد تألقت عيناها.

فجمد في مكانه وصرخ من أعماق قلبه: «شيلي.»

«أبي.» وارتمت بين ذراعيه وقد غمرها شعور بالفرح، وكان من شدة نقائه أن استحال، لحظة، إلى عذاب. كان شعورها أكبر من الكلمات وكذلك كان هو. كان العناق هو المهم وذراعا الواحد منهما حول الآخر بينما قلباهما يخفقان معاً. كانت آلام فراق السنوات الماضية تستحق هذه اللحظة. كانت بهجة يمكن أن تستمر طويلاً.

رفع والدها رأسه أولاً وقد التمعت عيناه بالدموع دون خجل. «ابنتي الرائعة الجمال، طفلتي الذهبية، كنت سأعرفك في أيّ مكان أراك. إنك لم تتغيري مطلقاً.» وأطلق ضحكة مرتجفة، فضحكت شيلي هي أيضاً. كان أبوها يثق بحبها له كما كانت هي دوماً قوية بحبه لها.

وجاءهما صوت بقربهما يقول: «مرحباً، يا ماركو.»

فهتف مارك ستيورات بلهجته المهذبة: «راف، ما أشد سروري برؤيتك. فإذا كان لي صديق، فهو أنت.»

ابتسم راف وهو يضغط على كتفيه: «أما بالنسبة إليّ فقد كنت مهتماً بأمر واحد وهو ما إذا كانت شيلي هي حقاً بنفس الجمال الذي طالما وصفتها به.»

فبدا على مارك ستيوارت زهو الأبوة وهو يقول: «أليست هي كذلك؟»

«إنها جمال يشع نوراً وبهجة.» ونظر لحظة في عيني شيلي وهو يبتسم وفي عينيه رسالة صريحة تقول: «إياك أن تخذليه.»

* * *

استقلوا الطائرة إلى مدينة مارينت ومن ثم أخذهم راف بسيارته إلى منزل المزرعة.

قال مارك بصوت بدا فيه الدهشة والسرور: «إذن فقد أرسلت العمال إلى هناك، يا راف. كيف لي أن أشكرك؟»

أجاب راف بعفوية: «سأصمم على شيء وأخبرك به. بالمناسبة، لقد ملأت الثلاجة لكي أوفر عليك رحلة. وحيث أنني أعلم أنكما ستنخرطان في الحديث ساعات، فأنا أستأذن في الذهاب. ما رأيكما بتناول العشاء في منزلي غداً مساء؟»

قال مارك بسعادة خالصة: «حسب رأي شيلي.»

فنظر إليها راف: «شيلي؟»

«سنذهب. شكراً.»

«هذا عظيم. لا تحملا نفسكما عناء الذهاب فسأرسل إليكما جوزيف. هل تلائمكما الساعة الثامنة؟»

قالت شيلي وهي تطلق آهة رقيقة من البهجة: «هذا جميل. شكراً لك يا راف لكل ما قمت به.»

فمنحها ابتسامة وهو يقول: «هذا من دواعي سروري، سأحضر الكلاب بعد ظهر الأحد، إذا كان هذا يلائمك، يا ماركو.»

فضحك مارك: «أتعلم انني في خضم البهجة هذه، قد نسيت كل شيء عنهما؟ آمل ألاّ يكونا أزعجاك. إن مولي تعض.»

نظرت شيلي إليه بسرعة: «مولي؟ هذا اسم غريب لكلب من نوع الدوبرمان المتوحش، يا أبي!»

أجاب: «إنهما ليسا من نوع الدوبرمان، يا عزيزتي. من أين أتتك هذه الفكرة؟ إنهما من نوع لابرادورز، إنك ستحبينهما. ومولي ذات لون ذهبي جميل، ولكن. واأسفاه

فقد فقدت قوامها الطفولي. وبوفين أسود وهو الذكر. إنهما رفيقان رائعان ولكنهما فاشلان في الحراسة. فالعنف يعود إلى نوع التربية.»

ابتسم راف لها وهو يقول: «آسف. إنها نكتة صغيرة.»

«وأنا صدقتك في الواقع.»

«حسناً، أراكما إذن غداً مساء.» وانحنى لهما برشاقة وفي صوته الرنان دعابة، «إن أمامكما ستة عشر عاماً عليكما أن تعوضاها.»

فكان جواب شيلي الوحيد ابتسامة وهي تلقي برأسها على كتف أبيها.

* * *

مر على شيلي وأبيها اسبوع كانا فيه غاية في الإنسجام. كانا يتحدثان ساعات طويلة أو يجلسان بهدوء وراحة والكلبان تحت أقدامهما، قاما بنزهة بحرية مرتين ثم ابتدآ يعملان معاً في المرسم الفسيح المغمور بالضوء، غير مستمتعين فقط بوجودها معاً، وإنما بذلك الرباط الذي وجدته شيلي مليئاً بالإلهام.

كان سرور مارك ستيوارت بموهبة ابنته واضحاً، فأخذ يجمع لها أشياء كثيرة لترسمها... فاكهة، براعم أزهار اللوتس الزرقاء الرائعة، أوان شرقية ثمينة من الخزف الصيني، وستاراً صينياً رائع الجمال. ساعدها في تنظيم الأشياء، كذلك، مما زاد في خبرتها ونظرتها الصحيحة للأبعاد. كانت كمن يتدرب من أستاذ غاية في الحماس.

كانا يعملان جيداً في الأمسيات، ثم يتناولا وجبة متأخرة

غالباً ما كان يعدّها الأب. فقد كان طاهياً ممتازاً، ذا خبرة بإعداد الطعام الأسيوي. ولكن الغريب أن شهيته للطعام كانت ضعيفة. كانت أحاديثهما تشمل مواضيع الفنون، الكتب، الأفلام والمواضيع السياسية والاجتماعية. تحدثا في كل شيء وأيّ شيء. كان هناك الكثير يريدان أن يعوضاه بعد ذلك الفراق الطويل. وبدا الأمر تقريباً كما لو أن شيلي قد كبرت ما بين يوم وليلة. لا شيء قد تغيّر بينهما. فلا شعور بالاستغراب وإنما سعادة لا مثيل لها.

كانت الأمسية التي أمضياها في منزل راف كونواي ناجحة للغاية. فقد كانت دانييلا، والتي كان واضحاً إدراكها كيف تتقرب من الرجال، كانت تتصرف نحو مارك بشكل ملفت، كما أظهرت مودة أكبر لشيلي. وكان الارتباك قد سادهم لحظة عندما أتت دانييلا على ذكر إقامة شيلي القصيرة في المستشفى. فقد كانت شيلي قد قررت عدم ذكر ذلك لأبيها ولو لفترة، وطبعاً كان مارك في منتهى الذعر. وأنقذ راف الموقف حين قال: «أنظر إليها، يا ماركو. إنها تفيض صحة وإشراقاً. أتراها لم تكبر وما زالت ابنتك الذهبية الصغيرة وقد عادت إليك؟»

تألق مارك زهواً، ولكن دانييلا لاذت بالصمت فترة قصيرة، فقد بدا بوضوح أن وصف راف لشيلي لم يعجبها ولكنها، مع هذا، كانت مضيفة ممتازة في ثوبها الجميل المنقوش بالأزهار. وكانت مرافقتها، زايا أيرين، في سنيها الستين، تبدو على شيء من الغرابة في نحولها الزائد وشعرها المشدود إلى الخلف وصرامتها التي تقرب من العنف. ومن حسن الحظ أنها لم تمكث إلا قليلاً ثم استأذنت وتركتهم

باكراً. وكان هناك زوجان آخران مدعوان، وكانا فتيين وموظفين معاً في الأعمال الفندقية، هو في الإدارة وهي في العلاقات العامة. وكان هناك حديث عن قيامهما بالعمل عند راف عندما ينتهي العمل في تطوير «جزيرة الملاك».

كان راف كونواي هو نجم الأمسية، ولا يعني هذا أنه قصد ذلك متعمداً، وإنما لشخصيته غير المتكلفة. فهو يفتن الآخرين بمنظره وحديثه الخلاب ونبرات صوته الجذابة. وكان واضحاً لشيلي أن أباها يكن لهذا الشاب شعوراً خاصاً وكأنه من أقربائه. كما لاحظت أن لراف كونواي نفوذاً قوياً في حياة أبيها، ولم تعرف إن كان هذا يستدعي السرور أم الإستياء. ولكنه، من وراء عينيه الباسمتين، كان يراقبها بنظرات الصقر.

ولم يرياه مرة أخرى إلا يوم الثلاثاء من الاسبوع التالي. وكانت شيلي وأبوها في الشرفة يستمتعان بتناول فنجان من القهوة المثلجة عندما وقف أمام الباب في سيارته «الستيشن واغن» الزرقاء الفضية.

«رائع يا راف.» رحب به مارك بهذه الكلمات وهو يقف مسروراً بينما هبط الكلبان السلم يرحبان به بالنباح.

وقفت شيلي على قمة السلم تعانق أحد الأعمدة وكأنها تستمد منه العون. ذلك أن المشاعر بينها وبين شريك أبيها كانت معقدة. ربما كان يساورها، عند رؤيته، شعور بالانتعاش والإثارة، ولكن ليس الارتياح. وتصافح الرجلان ثم اتجه الجميع نحو المنزل.

ناداها والدها قائلاً: «إن راف ذاهب إلى المدينة يا عزيزتي. أتحبين الذهاب معه؟ إن الخروج سيفيدك.»

يفيدها؟ وتملكها اليأس وهي ترى الفرق بين الرجلين. أحدهما مليء بالحيوية والنشاط، والآخر، رغم أنه يماثله طولاً، يبدو ضعيفاً هشاً إذا ما قورن به. وشعرت شيلي بألم عنيف مفاجيء. ذلك أن الشيء الوحيد الذي لا يتحدث عنه أبوها هو صحته. وعندما تطرقت إلى ذلك مرة، أخبرها أنه كان تعرض إلى عدوى جرثومية في جنوب شرق أسيا منذ سنوات وما زالت تزعجه من وقت لآخر. وهو شيء لا يستوجب القلق مطلقاً، كما قال. وصممت هي من نفسها على التحدث عن ذلك مع راف كونواي بشكل صريح.

صعد السلم فابتدأ قلبها يخفق، وفارقها ضبط النفس.

قال لها متحدثاً: «ما رأيك بذلك، يا شيلي؟»

«امنحني عدة دقائق أسوي فيها مظهري.»

فقال والدها: «ولكنك رائعة المظهر بهذا الشكل.»

نظرت بتردد إلى ثيابها، ثم قالت: «أظن من الأفضل أن ابدل ملابسي.»

دعاه مارك إلى الدخول، «أدخل يا راف، وسأصنع فنجان قهوة ريثما تغير شيلي ملابسها. أخبرني، هل ما زلت تفكر في شراء أرض خارج المدينة في وست بوينت؟»

لم تنتظر شيلي لتسمع الجواب، بل أسرعت إلى غرفتها حيث بدلت ملابسها.

قال لها والدها وقد غمره زهو الأبوة: «آه، كم تبدين رائعة يا عزيزتي.»

فابتسمت تجيبه: «شكراً يا أبي.»

أما نظرة راف كونواي إليها، فقد كانت أكثر حدة من العادة. أم لعل الضوء أظهرها كذلك؟

بعد ذلك بخمس دقائق، كانا في الشارع وفي يدها قائمة بما أراد منها والدها أن تشتريه له.

قال راف وقد بدا التحدي في صوته: «إن ماركو يبدو سعيداً.»

أجابت: «بالطبع هو سعيد. لا يبدو عليك التأثر الكبير لهذا.»

فالتفت ينظر إليها قائلاً: «ما هذا الشيء الغريب الذي تقولين؟»

فقالت: «إن تصرفاتك غريبة، فأنا أشعر وكأنني أسيرة، فأية حركة خاطئة مني تزجني بعدها في السجن.»

قال ببطء: «هذه مجرد تصورات.»

فقالت: «لا أظن ذلك.» ونظرت إلى جانب وجهه وبدا لها في منتهى الأناقة والثقة بالنفس. وتابعت تقول، «ما الذي تظنني سأفعله، على كل حال؟»

أطلق ضحكة قصيرة: «إنك تتصرفين بشكل ممتاز. لقد أعجبني عقدك هذا.»

فتلمست حبات العقد بيدها وهي تعجب لتغيّر الموضوع، ثم قالت: «إنه جميل جداً، أليس كذلك؟»

اجاب: «وكيف لا يكون كذلك؟»

فوقع عليها جوابه كمثل لسعة السوط. فسألته: «ماذا تعني بذلك؟»

نظر إليها ببرود: «لا بد أنك تعرفين عمل تلك المرأة. إن مركزها في هونغ كونغ.»

فهزت رأسها وقد تشوش ذهنها: «لقد أعطاني أبي هذا العقد منذ أيام. قال انه اشتراه عندما كان في سيدني.»

www.elromancia.com

فقال باقتضاب: «ربما لديها متجر هناك. لا أذكر اسمها ولكنها صينية مشهورة جداً. إن دانييلا تعرفها.»

ردت عليه بحدة: «دع دانييلا خارج الموضوع، من فضلك. ليس عليك أن تخبرها بكل شيء.»

سألها وقد عقد حاجبيه: «مثل ماذا؟»

«مثل أنك قلق عليّ، وسلوكي. وكيف سيؤثر هذا على أبي.»

«ما الذي تتحدثين عنه؟»

فارتجف صوتها قليلاً: «هل ستنكر ذلك الآن؟ إنني لم أكد أصل إلى هذا البلد، حتى أخذت ابنة خالتك تتحدث عما يشغل بالك.»

فقال بخشونة: «لا بد أنك أسأت الفهم، أؤكد لك أنني لم أتحدث عنك وعن ماركو إلى دانييلا.»

ردت عليه بمثل لهجته: «وكيف عرفت كل هذه الأشياء، إذن؟»

قال ساخراً: «أنت فقط التي تقولين هذا وإني بريء من كل نية في إيذائك. وسأتحدث إليها في هذا الأمر إذا كنت تريدين.»

فهزت رأسها غاضبة: «كلا. شكراً لك. لا أريد أن أكون مدار حديثكما مطلقاً. والآن، ربما عليك أن تخبرني عما تعتبره غير عادي بالنسبة لهذا العقد.»

فقال بقسوة: «قيمته. إن فيه ذهباً كثيراً يتخلله، ربما عيار ١٨ وأحجاره نفيسة. كنت أتوقع من امرأة مثلك أن تعرف هذا.»

اجابت شيلي: «ظننت أنه قطعة جميلة من طقم مجوهرات.»

فقال بجفاء: «وهو كذلك. حجر اليشب، فيروز، عقيق، حجر الكوارتز الوردي. أرى انه ثمين جداً، ألا تريدين أنت ذلك؟»

كان قوله ذلك غاية في الوقاحة، فقالت بغضب: «هل تريد أن تفحصه؟»

«كلا أبداً. إنه يبدو رائعاً عليك، يا شيلي. إنني مدهوش فقط لكونك تضعينه أثناء التسوّق.»

«إنني لن أخلعه بكل التأكيد. فهو هدية من أبي.»

«إنني واثق من أنك ستجدين طريقة للحصول على المزيد.»

قالت بصوت منخفض: «كنت أعلم أن من الخطأ أن آتي معك. فقد صممت على كراهيتي.»

لمعت عيناه بسخرية: «ولكنني لا أكرهك أبداً. فأنا أراك خلابة. من الواضح أنك امرأة تسعى خلف طموحاتها وبصفتي صديق أبيك وشريكه، فإنني أريد فقط أن أضع بعض العقبات في طريقك.»

قالت: «إنك تتخطى كثيراً حدود الصداقة.»

«سأتراجع إذن عندما تثبتين جدارتك. إني آسف يا ذات الجدائل الذهبية، ولكن من غير المناسب حالياً أن تتخلصي مني، فعلى مدى سنوات، سنوات لم تعبئي أثناءها بالإتصال بأبيك، كنت أنا من يرعى مصالحه.»

سألته: «وهل من الممكن أن أؤذيه؟ ماذا تظنني؟ ابنة خبيثة عاقة؟»

«كلا، أبداً. ولكن لديك طريقة في تحويل الوضع نحو مصلحتك.»

فسكتت، وربما أعتبر صمتها نوعاً من الشعور بالخزي، لأن ملامحه رقت وهو يقول: «إعتبري ذلك، إذا شئت خبرة مفيدة. إن إهمالك ذاك قد أصبح جزءاً من الماضي.»

وافترقا في المدينة، حيث سارت شيلي شامخة الرأس دون أن تنطق بكلمة.

لم تشأ أن تبقى بقربه فيضايقها. قد يعود إلى سيارته بعد ساعة أو نحوها، بعد أن ينهي أعماله، ولكنها صممت على أن تشتري ما أوصاها والدها عليه، ومن ثم تستقل الباص. إنها تعرف واحداً يمرّ قرب المزرعة. وستسأل عن ذلك عند الركوب. وشعرت ببرودة العقد. ومع هذا فقد مرت عليها لحظة همت فيها بنزعه وإلقائه في وجه راف. من الواضح أن أباها كان يرسل إليها هدايا على مرّ السنوات، بينما لم تستلم أياً منها. عليها أن تعترف بأن كثيراً من الناس لن يصدقوها، ولكن أمها كانت حريصة جداً على إحضار البريد بنفسها.

تنهدت شيلي بأسى، ثم استدارت تدخل المتجر.

كان الباص المحلي يتحرك من خارج وكالة الأنباء الساعة الثانية عشرة والنصف، وهذا يعني قبل الموعد أن تلتقي به براف، بعشر دقائق. وكان قد اقترح عليها بكل لطف أن يتناولا الغداء معاً. وفكرت في أنه من المفروض أن تخبره بما قررته فهي تراعي مشاعر الآخرين، حتى ولو لم يكن هو كذلك. وهكذا تركت له رسالة مختصرة تحت المسّاحة على زجاج سيارته.

ذهبت في الباص فهو لا بد أن يراها هناك. إنه سيشعر بالإهانة بالطبع، ولكن كلما أسرع بالتفكير في أنها لم تأت إلى هنا لتكون عرضة لمضايقاته، كان ذلك أفضل.

ولكن، ما أشدّ حرارة الجوّ. حيث كانوا يبتعدون عن نسيم البحر. زوجات في منتصف العمر، أكثرهن من أصل إيطالي، وكانت أستراليا تحوي جاليات إيطالية كبيرة. كانت النسوة محتشدات في الباص يتبادلن التحيات. وكان الحديث والضحكات تملأ الجوّ، وهن يتسابقن إلى أماكنهن التي تعودنها. وكانت هناك سيدة مسنة تمسح جبينها وهي تنظر حولها. نهضت تشيلي بحركة آلية تقدم مقعدها لها. وكان هناك عدة مقاعد باقية في مؤخرة الباص. وكان الهواء في الداخل خانقاً حاراً مثقلاً بالروائح المختلفة وأخذت المرأة التي بجانبها تسألها عن هويتها وعن سبب وجودها في هذه المنطقة، مبدية اهتماماً صادقاً بالأجوبة.

«مارك ستيوارت الفنان؟ نعم. أنا أعرفه طبعاً لقد أخبروني أنه صديق حميم للسيد كونواي.»

حتى سماعها باسم راف كونواي جعل شيلي ترتجف. إنه لن يتساهل في أمر فرارها منه. ولا بد أنه جاد الآن في تعقبها.

وهذا ما كان.

ذلك أن سائق الباص أمعن النظر في مرآته ليرى من الذي كان يقترب منه بسرعة وهو يطلق نفير سيارته يأمره بالوقوف. ومدت النسوة أعناقهن. وانتقلت أكثرهن جرأة، والتي يبدو أنها قائدة هذه المجموعة، إلى مؤخرة الباص لتتمكن من الرؤية جيداً.

نادت قائلة وقد أشرق وجهها: «إنه السيد كونواي... أوقف الباص يا بينو فقد يكون بحاجة إلى شيء.»

«آه، نعم. بالطبع.» وأدار الباص نحو جانب الطريق المعشوشب.

فكرت شيلي بأن راف لا بد يمتلك شركة الباصات أيضاً. وربما المدينة بأكملها. واندفعت الراكبات تتحدثن بحيوية وقد استبد بهن الفضول.

بعد ذلك بلحظات، كان راف كونواي يقف عند باب الباص الأمامي حيث حيا السائق باللغة الإيطالية، والتي كانت شيلي تفهم كل كلمة منها. ولم يكن هناك مكان يمكنها الإختباء فيه.

استدارت كل النساء إليها باسمات، وقالت قائدة المجموعة: «يا له من موقف شاعري.»

ولم يكن أمام شيلي من خيار سوى أن تسير نحوه وهي تبتسم بخجل. ياله من مشهد.

حياها راف كونواي ثم قال مشيراً إلى ما تحمله من لفائف. «دعيني أحمل هذه عنك.»

يا لهدوء أعصابه.

صعد الدرجات، ثم حيا النسوة بشكل جماعي. وقال: «المعذرة، أيتها السيدات، ولكن الآنسة ستيوارت لم تتعود بعد على حرارة أجوائنا.»

أخذ منها لفائفها، ثم ساعدها على النزول من الباص الأمر الذي اعتبرته هي سخرية خالصة منها، بينما اعتبرته النسوة، نوعاً من الشهامة.

أغلق السائق الباب، وما لبث أن تحرك الباص متابعاً سيره.

قال لها: «ما هذا العمل الأحمق الذي قمت به؟ إياك أن تحاولي ذلك مرة أخرى.»

«هذا شأني أنا. لقد وجدت الركوب في الباص مسلياً جداً.»

«لماذا لا نعقد هدنة على الغداء؟»

«هدنه؟ إنك لن تتوقف أبداً عن تعنيفي بالنسبة للماضي. أو بالأحرى لمفهومك الخاص عنه.»

فحدّق فيها قائلاً: «إنك بخير، أليس كذلك؟»

«إنني لا ألقي على نفسي هذا السؤال عندما تكون بقربي.»

فقال يستعجلها: «فلنعد إلى السيارة. إن الهواء المكيّف سيعيد إليك هدوءك.»

وعندما أصبحت في جو السيارة المنعش ألقت بقبعتها على المقعد الخلفي.

سألها: «هل أنت جائعة؟»

فهزت رأسها واجابت: «كلا.»

فنظر إليها وقال ضاحكاً: «إنك أنت التي فعلت هذا بنفسك، يا صاحبة الجدائل الذهبية. إنك مخيفة أثناء نوبات غضبك المفاجئة. ومهما يكن فسوف نتناول الغداء. إن ماركو يتوقع أن نعود متأخرين.»

فقالت معنفة: «من غير المعقول أن يكون مجنوناً إلى حد يجعل من نفسه وسيط زواج بيننا.»

قال بصوت يبطن دعابة قاسية: «دعينا نتفاهم. إن كلاً منا يحتمل الآخر على مضض، أليس كذلك؟»

www.elromancia.com

الفصل الرابع

أحسن ما في حياة المجتمع الريفي، كما وجدت شيلي، حيث عرض محاصيل المزارع على العربات على جانبي الطرق. كل شيء كان غضاً طازجاً. الخضر، والفواكه، وباقات الأعشاب، والأزهار وأنواع المخللات، والمربيات والعسل. وبالنسبة إليها، فهي لم تذق في حياتها مثل هذه الفواكه الاستوائية اللذيذة، وخصوصاً ثمار «الآفوكادو» و«الأناناس» والمانغا، وغيرها من الفاكهة الغريبة المظهر والتي لم تسمع بها قط ولكنها وجدت نفسها تستمتع بها، الأفوكادو على الأخص كان لها رائحة لذيذة ما جعلها تأكل واحدة يومياً. كانت قد اعتادت، في الواقع في الأجواء الاستوائية على تناول السلطات الطازجة مع كل وجبة، وغالباً قطعة صغيرة من الدجاج أو السمك. وكانت هذه طريقة صحية تماماً للعيش.

كانت مزرعة أوغسطين القريبة منهم، من الشعبية إلى حد جعلت السيدة أوغسطين وكبرى بناتها تعمدان إلى تقديم المرطبات الخفيفة الموضوعة في الثلج لتساعد زبائنهم في طريقهم. قهوة إيطالية ممتازة وشطائر وأشياء أخرى متنوعة من البسكويت، صنع البيت. وكانت شيلي جالسة هناك في أحد العصارى قبل أن تتابع طريقها إلى المنزل بسيارتها عندما اقترب منها شاب وعلى وجهه ابتسامة.

«لا بد أنك ابنة مارك ستيوارت. هل لي أن أقدم نفسي؟ انني جيف غانت وأنا أعرف مارك منذ سنوات.»

كان يبدو لائقاً تماماً، وهكذا دعته شيلي إلى الجلوس، كان في حوالي الثلاثين من عمره، ذا شعر بني حسن البشرة، وعيناه خضراوان حادتان نوعاً ما. وكان معتدل القامة متين البنية، وكذلك حسن الصوت، وأقبلت السيدة أوغسطين تسأله إن كان يريد قهوة. وكانت تدعوه باسمه الأول ما طمأن شيلي، فطلب قهوة سوداء وبسكويت أوروبي. كما طلبت شيلي فنجاناً آخر من القهوة لمجاراته.

سألها عندما ابتعدت المرأة: «كيف وجدت الحياة هنا؟»

أجابت: «آه، لشد ما أحببتها.»

فقال راضياً: «إنه مكان رائع. أين يمكنك أن تجدي مثل هذا الجمال والخضرة؟» ونظر إلى مشترياتها فسألها: «أراك تشترين أشياء من خارج مزرعة أوغسطين.»

«لم أستطع مقاومة شراء هذه الفاكهة الطازجة. كم سأفتقدها عندما أرحل.»

فسألها: «إنك هنا، إذن، في اجازة؟»

فأومأت قائلة: «لم أر والدي منذ مدة طويلة. إن لدينا الكثير لنتحدث عنه.»

«استطيع أن اتفهم ذلك. كيف حال مارك؟»

«بخير تماماً.»

«إنه لم يذكر قط أن له ابنة باهرة الجمال.»

فعادت تبتسم قائلة: «ما ألطف هذا القول.»

«أنت تشبهين مارك كثيراً. تقول الشائعات أنك مكثت في منزل راف أثناء غياب مارك عن المدينة.»

فأومأت قائلة: «أحياناً تكون الشائعات صادقة لقد كان راف في غاية الرقة معي.»

«حسناً، إنني لا أدعه ينتصر علي كما يفعل بالنسبة لكل شخص آخر، لقد كنت أنا وراف صديقين منذ الطفولة. ولكن لم تكن لي مزاياه قط، بالطبع ذلك أن راف هو أحد الارستقراطيين في هذا العالم. فقد سميت المدينة باسم جده، كما تعلمين (أولد بيترو). لقد اعتاد ارتداء تلك البذلات الحريرية ذات اللون البني مع نوع من ربطات العنق السوداء. ما رأيك في منزله؟»

«إن له تأثيراً بالغاً في النفس. لقد استغربت ذلك في الواقع. لم يكن لديّ فكرة عن أن رجلاً شاباً مثله بإمكانه أن ينجز كل هذا.»

«آه، نعم. إن راف ذكي في الأعمال، وذو حركة دائمة. لقد جعلني، بشكل مبهم، احتقر نفسي. إن سكان الشمال بأجمعهم يكنون له احتراماً عجيباً. ألم يأخذك بعد إلى جزيرة الاحلام؟»

فقالت بنعومة: «لم يسمح الوقت بذلك. إن اهتماماتي الأولى هي قضاء الوقت مع أبي.»

«بالطبع. ولكنني متأكد من أن راف سبق واقترح عليك ذلك.»

«أظن ذلك.» وسكتت حين جاءت لويزيانا ابنة أوغسطين لتضع ما طلباه، على المائدة. وانخرط جيف، الذي يبدو ان معرفته بها جيدة، انخرط معها لحظة في حديث رقيق، وما لبثت الفتاة ان ابتعدت باسمة.

قال: «إنها فتاة ممتازة، فهي عون كبير لأمها. ولكن، لنعد إلى راف، اسمعي نصيحتي واذهبي. إن جزيرة الاحلام ستصبح كالحلم عندما تنتهي. لقد حاز ذلك الرجل على كل

شيء. ان لديه ثروة طائلة، ليس فقط ما تركها له جده، والتي كانت لا يستهان بها، ولكنه تابع طريقه وضاعفها إلى حد كبير. إن بإمكان راف أن يكون بالغ الزهو بما يصنع. ولكنه يتعب في عمله إلى درجة أشعر أنا معه بالتعب.»

فنظرت إليه شيلي بفضول: «وما هو عملك يا جيف؟» فرشف جيف قهوته وهو يقول: «إنني في طور الإنشاء مثل راف. فهنا يوجد بعض الفرص الكبرى. وإذا كان لديك وقت، فسأريك بعض أماكننا الجميلة. إن لدي مكاناً قرب شاطىء الأوركيد. وهو منزل استوائي كانت تفاصيله عرضت في مجلة فوغ منذ فترة. لقد صممته وبنيته بنفسي تقريباً.»

فقالت محاولة أن تظهر في صوتها شيئاً من الحماس: «ما أجمل هذا. هل أنت متزوج، يا جيف؟» ألقت عليه هذا السؤال رغم أنها كانت تعلم، بشكل ما، الجواب. فقد بدا لها من قلقه وعدم شعوره بالاستقرار والثقة أنه لا يمكن أن يكون متزوجاً.

هز جيف رأسه نفياً وقد بدا شيء من العبوس على ملامحه: «كنت خاطباً مرة ولكنه الخطبة لم تنجح. إنها كارلا ابنة خالة راف. وهي فتاة جميلة جدا.»

«اني آسفة يا جيف.»

بدت على شفتيه ابتسامة متوترة: «ربما وجدوني غير كفوء لاسرتهم. انك سترين كارلا. ذلك أن راف سيقيم حفلة كبيرة ليقدمك إلى المجتمع في هذه المنطقة.»

انتابت شيلي الحيرة: «ما أسرع ما تتنقل الكلمة في هذا الجزء من العالم. إن راف بالكاد ذكر هذا.»

قال جيف وهو يضيف إلى القهوة مزيداً من السكر: «إن كل ما يفعله راف يمثل الأخبار الرئيسية هنا. ما رأيك في دانييلا؟»

«إنها مدهشة، مليئة بالحياة والنشاط.»

فقال ضاحكاً: «إنها صفاتها الثلاث. انها مستميتة لكي تتزوج من راف. إن قرابتها له بعيدة، حسب ما أعلمه. لقد مثلت دانييلا دور ابنة الخالة مرة، لكنها توقفت عن ذلك فهي تهدف إلى أن تكون زوجة راف، وهذا ما سيتحقق إذا عرفت، هي وعمتها أيرين، كيف تتصرفان، إنهما يأتيان دوماً من ايطاليا لزيارته، وهو أيضاً يذهب إلى هناك. إن العلاقات الأسرية في ايطاليا قوية جداً. كان أبوه مهندساً انكليزياً هنا في وظيفة كبرى. وقد قابل والدة راف وتزوجا وبقي هنا. إنني أتذكرهما في الواقع، كانت هي محبة للخير، وكان هو عالي الثقافة، متمسكاً بالقيم القديمة وهكذا راف هو مزيج من الاثنين.»

«كان مقتلهما مأساة حقاً.»

قال جيف: «لم يحصل راف على كل ما يريده من الحياة.» وازدرد جيف ما بقي من قهوته، ثم نظر في ساعته: «إن لدي موعداً بعد حوالي العشر دقائق وعلي أن أسرع بالذهاب لقد سررت بمعرفتك يا شيلي. ابلغي أطيب تحياتي إلى مارك هل يمكنني زيارتكم أحيانا؟»

«أهلاً بك، يا جيف.» وبدت لها هذه الدعوة لا ضرر منها، حالياً.

عندما عادت شيلي إلى البيت وجدت أباها وراف منكبين على دراسة تصاميم لتجزئة قطعة أرض ساحلية للبناء.

قالت لراف عندما تقدم هذا ليأخذ منها صندوق الفاكهة والخضر: «لقد قابلت للتو أحد اصدقائك.»

فسألها بلهجة جافة: «أهي لمحة من المكر تلك التي أراها في عينيك؟»

قالت بسرعة وهي تمر بجانبه لتمسح بقعة عن كرسي في المطبخ: «إنه جيف غانت.»

قال: «بالطبع إن جيف لا يغفل فرصة تسنح له لتقديم نفسه.»

قال أبوها ضاحكاً: «هذا صحيح، من المؤكد أنك لم تقابليه في مزرعة أوغسطين.»

فسألته: «وهل ذلك شيء غير عادي؟»

«أظن ذلك، فهو غالباً يأكل في أماكن تقديم الوجبات السريعة.»

نظر راف إلى مارك وهو يقول باشمئزاز: «ربما عرف سيارتك.»

فسألت شيلي بفضول: «ما هي قصة جيف غانت، هذا؟ لقد خطر ببالي أنه لا تجمعكم نفس الصداقة التي تحدث عنها.»

فقال راف بشكل مفاجيء: «إن جيف لابأس به.» بينما وقف أبوها وهو يقول: «إن مشكلة جيف هي أنه يريد أن يكون شخصاً آخر. أن يكون راف.»

هزت شيلي رأسها بمكر: «على كل حال، انه سيزورنا.»

قال مارك بلهجة هازلة: «لابأس بذلك. هل عرض عليك أن يريك كل مواطن الجمال هنا؟»

جلست شيلي وهي تجيب: «لقد فعل ذلك. وسيريني منزله أيضاً.»

قال راف ببرود: «قد ترغبين في رؤية ذلك المنزل.»

«انك لا تعرف المزاح. لقد أخبرني أنهم كتبوا عن بيته ذاك في مجلة فوغ.»

فقال مارك: «هذا صحيح. إن لدي نسخة منها في مكان

ما هنا سأريك إياها، انها من تصميم راف وبناء «شركة كونواي للإنشاء.» بينما ذكر جيف في المجلة أنها من تصميمه هو وقد بناها عمال محليون، وذلك دون أي شعور بالخجل، وإذا ما جابهه أحد بكذبه هذا فهو يضحك وينتهي الأمر.»

فذهلت شيلي: «ولكن هذا ما أخبرني به.»

«إن ما حدث هو أن جيف سعى حقاً في اقامة المنزل، ولكن المهندس هو راف، يا عزيزتي. كل مبانينا هي من تصميم راف.»

ما كان لها أن تدهش، في الحقيقة. فسألت راف: «هل أنت مهندس؟»

أجاب بحزم وكأنها على وشك القيام بمجادلته: «ومهندس جيد، كذلك.»

«ما أروع هذا. إذن فقد صممت منزل المنحدرات البيضاء بنفسك؟»

أمعن النظر في وجهها: «نعم، ولكن بعد حل بعض المشكلات بالنسبة لمكان البناء.»

«من الغريب انك لم تخبرني بهذا من قبل.»

«إنني شديد التواضع.»

فقالت وهي لا تستطيع التوقف عن التحديق به: «ما زلت أعتبر هذا شيئاً غريباً.»

قال مارك: «تعالي وألقي نظرة على هذا، يا ابنتي. إن راف حائز على شهادة عليا في هندسة المباني. ألم أقل لك أنه شخص ذكي؟»

«ذكي. نعم بالتأكيد. تلك كانت الكلمة.»

تقدم راف ليقف بجانبها عند المنضدة وجعلها تأثير جاذبيته تتمسك بحافتها. وكان يقول: «لا أعرف شيئاً عن العبقرية تلك. إنها كلها إعداد للشيء الذي أريد أن أقوم به. هذه التصاميم هي لتجزئة مقترحة للبناء على أرض مزرعة تانر. مائتا ألف دونم مواجهة للبحر. سيكون هناك ثلاثون منزلاً تقام على ستة الاف دونم منها، والباقي سيكون حدائق عامة. سآخذك إلى هناك حالما يبدأ العمل في هذا المشروع.»

فقالت: «سأكون متشوقة إلى هذا.»

أجاب بلهجة جافة تبطن شيئاً من السخرية: «سأقوم بأي شيء يسعدك. سأذهب إلى (جزيرة الاحلام) في بداية الأسبوع القادم، وربما تحبين أن تأتي معي.»

«هذا يسرني جداً.» ورفعت بصرها فجأة ليلتقي بعينيه. وتساءلت بينها وبين نفسها، ما الذي تريده مني، يا راف كونواي؟

ونزل مارك وراف معاً إلى السيارة، وعندما عاد مارك استأنفت شيلي الحديث قائلة: «لقد كان راف متحفظاً تماماً بالنسبة لجيف غانت.»

«إن المرء يصاب بخيبة الأمل من الناس، يا ابنتي: لقد قام راف بالكثير لكي يساعد جيف، ولكنه لم ينل أي شكر منه لذلك. لقد كان راف المثل الأعلى لجيف عندما كانا ناشئين، ثم تدخلت غيرة الرجال عندما كبرا. كان جيف قد رأى أن راف يملك كل شيء. وكل ما قام به راف، أراد جيف ان يجربه. لقد تبع راف في تطوير الأرض، ولكن عدا عن أنه لم يكن يملك المؤهلات الضرورية لذلك، فقد اختلط بأناس

www.elromancia.com

سيئي السمعة، في أيامنا كنا ندعو أمثالهم بالمحتالين. هل أخبرك بأنه كان خاطباً مرة لابنة خالة راف، كارلا.»

«نعم. لقد فعل. لقد ترك في نفسي انطباعاً بأنه يشعر بالتحدي ظانا أن الناس يتحاملون عليه، ولكنه مع كل هذا لا يخلو من شيء ما يجذب الآخرين إليه.»

تنهد مارك قائلاً: «هذا صحيح. الشيء المحزن هو أنه يشعر بنفسه مرغماً على مقارنة نفسه براف.»

«لا بد أن هذا يمزق نفسه أشتاتاً.»

«هذا هو الأمر، ومن المثير أن جد راف كان أنفق على تعليم جيف الجامعي كما فعل بالنسبة إلى الأطفال الأذكياء في المنطقة. لقد كان بيترو رجلاً رائعاً. كان محسناً حقيقياً، وكان جيف نشأ في أسرة متنازعة الأفراد، فلم يكن ثمة سلام في البيت.»

«هذا يفسر بعض مشكلاته.»

فأومأ أبوها برأسه: «طالما فكرت في أن من الأفضل لجيف أن يعيش في مكان آخر. في مكان لا يكون عليه فيه، أن يسير في ظل راف.»

سألته شيلي وهي تتجه صوب الثلاجة: «وما هو شعور راف بالنسبة لهذا الأمر؟»

«إن له نظرة فلسفية بهذا الشأن. إنه يعلم كل شيء عن الحسد الذي يأكل قلبه. لم يكن لراف يد في فشل خطبة جيف وكارلا. إن فشل جيف وحماقته من صنع يده وحده.»

«حسناً، إنه آت لزيارتنا.»

«لابأس في ذلك. إن جيف رفيق حسن إذا لم يكن له هدف شخصي أو أناني.»

وانتاب شيلي شعور بالضيق: «إنه يعلم كل شيء عن الحفلة التي ستقام في آخر هذا الشهر، بينما لم يكد راف يأتي على ذكرها.»

ابتسم مارك دون أن يبدو عليه أثر للانزعاج: «ربما هناك شخص يعمل في المنزل، يزوده بالأخبار. إن كل شخص يهتم إلى حد بالغ بما يقوم به راف. وهذا يذكرني بثوب الحفلة الذي سترتدينه. يجب أن تشتري لنفسك بعض الملابس غير العادية. فالسيدات يعرفن كيف يلبسن إذا سنحت لهن الفرصة، وذلك الثوب الذي كانت دانييلا ترتديه في الأسبوع الماضي لا شك كان سيبدو جميلاً عليك.»

فقالت تغيظه: «أتريد أن تقول إنها متفوقة علي؟»

قال وقد تألقت عيناه زهواً: «كلا، يا ابنتي، ولكنك تعلمين ما أعني.»

قالت: «أعلم ذلك. كانت دانييلا، في الواقع، ترتدي ثوباً غير عادي. ولم تغفل عمتها تنبيهي إلى ذلك، بهدف جعلي أرى الفرق بيني وبينها. لا يمكنني التحدث عن ثوبها ذاك حتى ولو كان بإمكاني شراؤه. اتعرف كم يكلف مثل هذا الثوب؟»

أجاب ضاحكاً: «مبلغاً كبيراً. إنني لست مفلساً تماماً، يا عزيزتي، وأنا مصر على الشراء. أريدك أن تكوني في أحسن حالاتك. من المؤسف أنك لم تحضري معك عقد اللؤلؤ.» لقد ألقى بهذه الكلمات بشكل عفوي فوجئت معه شيلي. «أي عقد؟» وحبست أنفاسها وهي تفكر في أنه العقد الذي سبق وحدثها راف عنه.

«انك لم تستلميه، أليس كذلك؟ ألا يمكنك أن تخبريني؟»

«أبي...»

«إنك تتسترين على أمك. لقد فهمت. لقد كنا تحدثنا عن كل شيء تحت الشمس... ما عدا هذا. لم يكن أي منا يريد أن يعكر هذا الانسجام الذي بيننا. إنك لم تستلمي الرسائل، أليس كذلك؟ والهدايا؟»

اقتربت شيلي من أبيها وأمسكت بيده وهي تقول: «لا تغضب. لقد شحب وجهك. هل تشعر بأنك بخير وعافية؟»

بدا عليها من اللهفة والقلق ما جعل أباها يتمالك نفسه ليقول من كل قلبه: «طبعاً أنا بخير وعافية. فهذه الأيام التي امضيها معك هي أسعد ما مر علي في حياتي.»

«حسناً، إذن.» قالت ذلك وهي تبتسم من خلال غشاء من الدموع. يجب ألا ندع شيئاً يكدرنا. لقد انتهت التعاسة كلها وكل الأخطاء.»

قال الأب بهدوء: «لقد كنت أحب أمك، يا شيلي لقد حاولت... حاولت جهدي، ولكنني، حيث أنني كنت شاباً، لم أستطع تحمل محاولتها السيطرة علي أو تحكمها بي إذا فضلت هذا التعبير. لقد أصبح زواجنا سجناً لكل منا. ربما لم أكن من الحكمة أو النضج في ذلك الحين بحيث أخرج أمك سارينا من رغبتها البالغة في التملك. فقد كانت شابة ورائعة الجمال. وكان ينبغي لها ان تستمتع بالحياة وتعانقها بذراعيها الاثنتين. ولكنها بدلاً من ذلك، أصرت على أن نكون ضمن دائرة نحن الثلاثة. ألم تتساءلي مرة لماذا كان اصدقاؤنا قليلون لم تكن أمك تريد أصدقاء. أنت وأنا وهي فقط.»

قالت شيلي ضارعة: «أرجوك يا أبي. لقد سنحت لنا جميعاً فرصة أخرى.»

قال شاكراً: «لقد حصلنا على ذلك فعلاً. إنني مسرور لأن أمك وجدت الرضى والسلام. لقد أساء كل منا إلى الآخر. ولكن كل شيء انتهى الآن. والآن ماذا عن عدة ساعات من العمل قبل العشاء؟ لا يمكنك أن تصدقي مقدار الحافز الذي أثرته في نفسي. لقد انعكس هذا على عملي. ألن يكون رائعاً لو أقمنا معرضاً لنا نحن الاثنين، معاً؟»

فقالت: «أبي، إن عملي لا يمكن أن يقارن بعملك.»

«هذا هراء، إن لديك مقدرة حقيقية. أظن، في الواقع اننا نشترك في نفس القوة والمقدرة مثل اختيارنا لنفس المادة. لقد بقيت أرسم سنوات للمتعة الشخصية، ولكن الأمر احتاج إلى راف لكي يحملني على عرضها. انني لن أدير ظهري لهذا النابغة. فقد كان صديقاً رائعاً لي، ذلك الشاب سيكون صديقاً طيباً لك أنت أيضاً، يا ابنتي.»

وشعرت شيلي بأن هناك رسالة ما قد دخلت للتو، إلى قلبها.

* * *

مضت بقية الاسبوع بسلام، وبعد ظهر يوم الجمعة أعلن مارك أنه سيذهب إلى المدينة لانجاز بعض الأمور.

سألته شيلي ربما للمرة الثالثة: «هل أنت واثق من أنك لا تريد مني المجيء معك؟»

«كلا يا عزيزتي إن الجو شديد الحرارة وقد أعلنت النشرة الجوية عن عاصفة رعدية ستحدث عند العصر.»

فقالت وهي تسير مع أبيها إلى السيارة: «أعرف ذلك. فلماذا تذهب أنت اذن؟»

قال بمرح: «لأجل أمور لا يمكن تأجيلها. لا تقلقي لأجلي يا ابنتي. فالمرء هنا معتاد على العواصف الرعدية وعلى كل حال، سأعود قبل حدوث ذلك.»

لوحت شيلي بيدها تودع أباها، ثم عادت إلى البيت وقد تصاعد شعورها بالقلق لقد حدست بأن رحلته هذه غير طبيعية. فقد كان أبوها يريدها معه اينما يذهب، ولكن يبدو أن هذه الرحلة كانت خاصة. هل من الممكن انه سيزور الطبيب؟ مهما كانت أحاديثهما صريحة، فقد بقي مارك ستيوارت صامتاً تماماً بالنسبة لصحته وان كان هذا لا يعني أنه أمر غير عادي بالنسبة إلى الرجال.

إنها ستحاول الحصول على بعض الأجوبة لتساؤلاتها هذه، من راف عندما تراه. هل من الممكن للحمى الاستوائية أن تبقي الشخص نحيلاً رهن الألم لسنوات، وافترضت أن هذا ممكن. وتملكها الرعب لأنها لا تريد أبداً أن تفقد أباها مرة أخرى بعد أن وجدته.

ولكي تلهي نفسها عن هذه الأفكار، قررت أن تقوم بتحضير شيء يؤكل. ولما لم يكن أبوها محباً للحلوى، فقد فكرت في صنع بعض البسكويت ليتناوله مع الشاي. وكان لديها في البيت الكثير من اللوز، والكاجو، والفستق، والبندق. وفجأة امتلأت عيناها بالدموع وهي تفكر في كل تلك الوجبات التي كان أبوها يعدها لها بينما يحدثها عن مغامراته الأسطورية في جنوب شرق آسيا. لقد كان أصيب بتلك العدوى الاستوائية هناك. إنها ستتكلم مع راف. فإذا كان أبوها يعاني من أي شيء فإن عليه أن يخبرها.

بعد ذلك بساعة، أخذ الكلبان ينبحان. كان نباحاً أقرب

إلى التنبيه منه إلى الترحيب. فأسرعت شيلي إلى الشرفة. كان القادم جيف غانت.

ناداها بمرح: «مرحباً، يا شيلي كنت في هذه النواحي، ففكرت في المرور لرؤيتك.» تقدم نحو الشرفة نظره على الكلبين اللذين استحال ودادهما إلى اسوأ أنواع العنف ولكن شيلي نهرتهما ليتوقفا عن النباح.

«آسفة لأن أبي ليس هنا يا جيف، لقد ذهب في رحلة سريعة إلى المدينة. ما الذي أحضرك إلى هذه النواحي؟»

تلكأ جيف على قمة السلم: «إنها قطعة أرض أريد أن اعاينها انها قرب كاش كروسين.»

أشارت إلى كرسي قائلة: «اجلس. ما رأيك في شراب بارد أو فنجان قهوة؟»

«شراب بارد من فضلك. ما تلك الرائحة الشهية؟»

استدارت تدخل الردهة وهي تقول: «من المحتمل أن تكون رائحة الحريق. استرح لحظة، يا جيف سأعود حالاً.»

ولكنه بدلاً من ذلك تبعها إلى داخل المنزل وقال: «هذا حسن. إن لمارك اسلوباً في إدارة المنزل ولكن ليس هناك مثل المرأة في ذلك.»

وبشيء من الضيق، أخرجت شيلي من الفرن صينيتي البسكويت. وقال جيف: «إن البسكويت هو نقطة الضعف عندي.»

وبقي يردد عباراته المرحة بينما كانت شيلي تسكب كوبين من عصير الليمون، ثم تضيف الثلج وغصن نعناع ثم تضعهما على صينية. وبعد ذلك وضعت بعض البسكويت في صحن ليأخذ جيف كل ذلك إلى الشرفة حيث عاد الكلب ينبح وقد بان الغضب في عينيه.

قالت شيلي تحذر الكلب: «تمهل يا بوفين. فنظر الكلبان إليها، ثم جلسا قرب قدميها متخذين موقف الانتباه.

قال جيف ضاحكاً: «أقسم أنهما لا يثقان بي. ما ألذ هذا البسكويت.»

«سأعطيك الوصفة إذا شئت أن تصنعه بنفسك.»

فابتسم قائلاً: «ليس بامكاني أن أقلي بيضة.» ثم اتكأ إلى الخلف بكل راحة. وتابع يقول: «إذا لم يكن لديك ما تصنعينه، ما رأيك في نزهة معي بالسيارة إلى كاش كروسين؟ إنه مكان جميل جداً.

سرت شيلي اذ وجدت لنفسها عذراً سريعاً. «آسفة يا جيف، علي أن أبقى هنا إلى حين عودة أبي.»

فقال محتجاً: «ولكنه لن يعود قبل ساعات.»

قالت: «وما الذي يجعلك تظن ذلك؟ إن تلك الأشياء تستغرق وقتاً وأرجو ألا تلتصقي بالمزرعة هذه أثناء وجودك هنا. فهذه المنطقة هي مكان السائحين المفضل وحيث ان مارك مريض...»

تغيرت ملامح شيلي بسرعة: «ما الذي تعنيه، يا جيف؛ إن أبي لم يخبرني بشيء.»

فخفض جيف نظراته: «حالما نطقت بهذه الكلمات أدركت أنني أخطأت. لا تدعي القلق يستولي عليك بهذا الشكل، يا شيلي. إنها فقط عدوى بسيطة كان قد التقطها منذ سنوات لا بد أنه أخبرك بذلك، فهي تعاوده من وقت لآخر، وليس ثمة ما يستدعي القلق.»

نهضت شيلي من كرسيها، وسارت نحو حاجز الشرفة وأخذت تنظر إلى الحديقة بعينين لا تريان. «ولكنني قلقة

جداً، يا جيف. فأبي ليس بالرجل الذي يتحدث عن صحته ولكن عليه أن يخبرني عما إذا كان لديه شيء خطير.»

«طبعاً. إنني آسف لهذا.»

ظهرت أمامهما سيارة ستيشن زرقاء فقال غير مصدق: «عجباً... أقسم أن راف قد تبعني إلى هنا.»

وركض الكلبان، كالعادة، يهبطان السلم يرحبان به وهما يهزان ذيليهما. وبعد دقيقة كان راف يتوجه نحوهما بخطوات واسعة وعيناه تتألقان بحدة تكفي لتجمد الدم في العروق.

قال بخشونة: «علمت أنك ستكون هنا، يا جيف. فأنا آتٍ من مكتب تيد ماسينغهام حيث ذكر مارك انه التقى بك صدفة.»

احمرت وجنتا جيف: «إنني في طريقي إلى كروسين، ففكرت في أن أمر على شيلي لأقول مرحبا. وكان من لطفها ان قدمت إلي شراباً بارداً وبسكويت صنع البيت.»

قال بعد أن نظر إلى شيلي، ثم إلى المنضدة الخيزرانية: «هذا حسن.»

فقال جيف متظاهراً بالعفوية: «انها حسنة الصنع بالتأكيد.» ولكن شيلي شعرت بأنه منزعج للغاية. لماذا لم يذكر مثلاً، انه رأى أباها في المدينة؟ كما أن سلوك راف كان يقرب حد الغضب.

نظر جيف إلى السماء. «الأفضل أن أذهب الآن. تلك الغيوم المنذرة بالعاصمة ابتدأت تتجمع بسرعة. إلى اللقاء يا شيلي. إلى اللقاء يا راف... يا صديقي القديم رغم انك لا تعاملني بالضبط كصديق أليس كذلك؟»

www.elromancia.com

هز راف رأسه قائلاً: «سأعاملك كصديق، يا جيف عندما تتوقف عن اثارة المشاكل، يمكنك أن تنقل عني هذا الكلام إلى هاريس. انك لست بحاجة إلى مرافقته.»

تحرك جيف بضيق: «إنه ليس مرافقاً لي.»

فرد راف عليه عابساً: «هذا ما أرجوه. لقد سبق وأخبرتك انه رجل سيء.»

فقال جيف: «لا بأس، لابأس. كل ما أرجو هو أن تدعوني إلى حفلة شيلي.» ونظر إلى شيلي وقد بدا بوضوح أنه يريد مساندتها.

قال راف: «إن كارلا ستكون هناك.» وبدا من التعبير الذي على وجهه أن هذا الموضوع قد ملأه بالغضب.

سار نحو السلم، ثم لوح بيده وهو يتحرك بالسيارة التي ما لبث أن اندفع بها بعنف، وانطلقت بعدها مثيرة خلفها رذاذاً من الرمال.

قالت شيلي وهي تدخل إلى المنزل: «هل كان عليه أن يسوق السيارة بهذا الشكل، مشبهاً بذلك المتوحشين.»

فقال راف باقتضاب: «إن جيف ينفس عن العنف الذي بداخله فلا تذهبي بالسيارة معه، فهو يعرض حياتك للخطر.»

«هل أنت جاد في ما تقول؟»

أجاب: «نعم، من المعروف عن جيف انه سائق متهور. فإذا لم يحاذر، فسيفقد إجازة القيادة. منذ متى هو هنا؟»

فقالت بشيء من الحدة: «وما الذي يجعلك مجنوناً هكذا؟»

«لا أريد أن أرى يده على كتفك.»

«ليس لك أن تقول هذا. فأنا ما زلت أنكر عندما امسكتني في أول ليلة تقابلنا فيها.»

فقال متوتراً: «ظننتك صبية هاربة.»

«وما شأنك أنت، على كل حال؟ لقد تصرف جيف معي كسيد مهذب تماماً.»

«اخرسي، من فضلك.» والتمعت أسنانه البيضاء وسرى في وجهه الأسمر شحوب خفيف.

فقالت بصوت متهدج: «أيها المتوحش.» كان امساكه بها شيئاً غير عادي وتملكتها أحاسيس أضعفت ارادتها حتى عن الحركة.

صرخت به: «دعني أذهب، انك غير مسؤول عني. إني أريد أن أفعل ما أشاء.»

«ولكنني لم أسبب لك أي أذى.»

قالت: «إنك أدنتني حتى قبل أن تقابلني. من حسن حظي ان أبي يحبني ويثق بي.»

فقال: «هذا صحيح. ولكن هذا الوقت لن يكون سهلاً بالنسبة لكل منا.»

«كلا.» وسمعت الرعد فوقهما، وكان عالياً غير متوقع إلى درجة جعلت شيلي تنكمش خوفاً.

«انها ليست سوى عاصفة. ولا بد انك معتادة عليها.»

نظرت برعب إلى باب الشرفة المفتوح: «ليس رعداً بهذا الشكل.» وأنار البرق الحديقة فأخذت بالتراجع وكأنها تريد وقاية نفسها.

«حاولي السيطرة على مشاعرك. فأنا لن اتركك. اقفلي بعض هذه الأبواب فالعاصفة ستكتسح المكان من الناحية الشمالية الشرقية.»

سارت نحو الباب المفتوح، ولكن صوت الرعد الذي

www.elromancia.com

انطلق مرة ثانية، جعلها تقفز مرتاعة. وسرت في الجو رائحة غريبة هي أشبه بالبخور. وجعلها التقارب بينهما في منتهى العصبية. فأخذ راف قبضة الباب من يدها المسترخية، ثم خرج إلى الشرفة.

ناداها قائلاً وكأنه يستمتع بثورة الطبيعة: «أخرجي إلى هنا.» وصفقت مصراع الباب هبة ريح عاصفة منعتها من أن تظن أن الصباح يتألق الآن في الخارج والجو صحو لا غيوم فيه.

ولكن، ما قابلها الآن جعل عينيها تشعان. كانت السماء غير عادية البهاء والعظمة. وكانت كتل سوداء كثيفة من الغيوم تتقدم من ناحية البحر تسوقها الرياح فوق الساحل، فتغطي المزارع والحقول مثل عباءة واسعة قد طرزت حواشيها الرمادية أشعة الشمس الذهبية. كان مشهداً مهيباً رائع البهاء والعظمة لم تشاهد شيلي مثله قط في حياتها.

نظر راف إلى وجهها الشاحب خوفاً ورهبة، ثم قال وقد ضاقت عيناه: «عليك أن تعتادي هذا. تعالي إلى جانبي.»

فذهبت إليه كالطفلة، متوقعة عرضاً آخر للبرق. كان فوق قمم الأشجار صفوف من طيور الببغاء، وقد بدت ألوانها أكثر إشراقاً في هذا الجو القاتم، مما تبدو عادة في ضوء الشمس المتألق.

«كفى ارتجافاً. إننا هنا في أمان تام فالشرفة فسيحة.»

قالت وهي ما زالت ترتجف: «هذا مخيف. وأبي في الخارج.»

«كلام فارغ. إن ماركو سيبقى في المدينة إلى أن تنتهي العاصفة.»

بعد أن اطمأنت، قالت: «هذا مشهد بالغ الروعة يستحق الرسم.»

«تذكريه اذن. لا شيء هناك يفوق الطبيعة في الروعة الخالصة. ها ان الرياح تخمد الآن. ولكن ما أن يبدأ المطر بالهطول حتى ينتهي كل شيء. انك ما زلت ترتجفين.»

وعندما ابتدأ المطر ينهمر، لم يتحرك أحد منهما. وأخذت شيلي تعب الهواء البارد المنعش، وقد ابتلت ملابسها، ثم قالت وهي ترتجف اثارة في نفس الوقت.

«ها قد انتهت العاصفة، فلماذا لا تذهب إلى بيتك؟» كانت قد ابتدأت الكلام بلهجة متألمة، ولكن غضبها ثار الآن، فصرخت به. «أذهب، هيا إذهب، فنحن لسنا صديقين.»

فقال مؤكداً: «كلا. اننا لسنا صديقين. كوني واثقة جداً من هذا. ان ما يقلقني هو أننا قد ننتهي بأن نصبح حبيبين. يبدو أنني لن استطيع تركك.»

فقالت شيلي بصوت مرح: «اعتبر ذلك من جنون الصيف. لقد انزاحت العاصفة، فيمكنك أن تذهب في سبيلك.»

الفصل الخامس

بعد ذلك بحوالي النصف ساعة، وصل مارك إلى البيت بأمان، وهرعت شيلي للقائه، شاعرة بالحاجة إلى وجوده، وسألته: «هل لاقيت مشاكل بالنسبة للعاصفة؟»

«كلا يا ابنتي، فقد انتظرت إلى أن انتهت.» كان مارك يتصرف كصبي خالي البال، وشعرت شيلي بنفسها يغمرها الهدوء، وسألها: «وماذا عنك؟»

أجابت وهي تحاول تهدئة قلقها الداخلي: «بأحسن حال، ما هذا؟ هدايا العيد؟» سألت ذلك وقد انتابتها الحيرة وهي ترى أباها قد ابتدأ يناولها مجموعة من اكياس التسوق الحمراء اللامعة.

أجابها: «أثناء وجودك هنا، كل يوم هو عيد، هل جاء راف؟»

«وهل طلبت انت منه ذلك؟»

«كان سيفعل ذلك إذا هو علم انك وحدك. فهو شديد الاهتمام بمثل هذه الأمور.»

حدثت نفسها وهي ترتجف: «وهو افضل أيضاً في دفعي إلى الجنون.» ثم قالت: «جاءني زائر آخر، أيضاً.»

«آه.» والتمعت عينا مارك بشكل غير عادي، فقالت: «جيف غانت.»

قال وهو يضع مزيداً من اللفائف تحت إبطه: «جيف؟ وما الذي يريده؟»

«كان يريد ان يقول مرحباً، ولكن راف لم يكن مسروراً برؤيته، هو أيضاً.»

أجاب مارك: «اظن ذلك، أحياناً أرى نفسي مستاءً جداً من جيف، فهو كان يعلم جيداً أنني لست في المنزل، فقد التقيته صدفة في المدينة.»

قالت شيلي: «لقد عجبت لهذا، انه لم يمكث طويلاً، وفي الواقع، لقد أسرع بالخروج حال وصول راف.»

امتلأت عينا مارك هزلاً، وقال: «ان راف يعرف كيف يلزم جيف حدوده، هيا، أدخلي المنزل وانظري ماذا احضرت لك.»

فقالت ذاهلة: «أبي، انك تفسدني بالدلال.»

«لكنني أحب ذلك. وكيف أنسى الأيام الماضية الرائعة.»

«كنت اظن ان النساء هن من يحسن التسوّق.»

أجاب الأب: «والرجال بإمكانهم ذلك أيضاً، إذا توفرت لهم المناسبة.»

وفي الردهة، ألقى مارك بالأكياس على الأريكة، بينما جلست شيلي على حافة كرسي وهي تنظر إلى الأكياس متأملة. «أبي، ما هذا كله؟»

«انك، طبعاً، تريدين أن تعلمي.» وسار نحو المطبخ حيث غسل يديه في الحوض ثم عاد إلى مشترياته: «هاك.»

وأمام عينيها الذاهلتين، ابتدأ يخرج مجموعة كاملة من الملابس، قمصان وتنانير طويلة ذات ألوان رائعة تشع حيوية، ثلاث بذلات وملابس من احزمة وغيرها. احذية من مختلف الألوان، عقود ملونة الحبات تصل إلى الخصر. حزام من الفضة والفيروز امسك به مارك وقال: «انه من بوتيك شاري انه يناسب خصرك الممشوق.»

www.elromancia.com

«أبي، إنني أكاد أجن لكل هذا، هل أبقيت لصاحبة البوتيك شيء؟»

«لا تظني ان ليس لديها سوى هذه الأشياء.» وابتسم للتعبير الذي بدا على وجهها. «ان أي شيء لا يعجبك سيعود إليها.»

تقدمت شيلي تمسك بثوب صيفي رائع الجمال ذي لون أبيض منقوش برسوم أزهار الزنبق، وهي تقول: «هذا جميل.» ولكن الشحوب ساد وجهها: «أبي، لا يمكنني ان ادعك تنفق كل هذه النقود.»

هز مارك رأسه: «هيا، يا ابنتي، وما هي النقود؟ انها لا تستطيع شراء السعادة والصحة، ولا يمكننا اخذها معنا.»

«ولكنك سبق واعطيتني الكثير.»

فقال مؤكداً بقوة: «كلا، أبداً. انني أريد ان أبعث البهجة في قلب ابنتي.»

«أنا اشكرك من كل قلبي، إذن فقد كانت غايتك التسوق.» قالت ذلك شاعرة بالإطمئنان.

فابتسم قائلاً: «هذا إلى أشياء أخرى. إنني متشوق إلى فنجان شاي.»

«اجلس وسأصنعه لك.» واندفعت نحو المطبخ وهي تتابع قائلة بينما كانت تملأ إبريق الشاي بالماء. «كنت اظنك ذهبت إلى الطبيب.»

فقال بهدوء: «ليس هذه المرة، يا ابنتي، انني أجري فحوصات عامة من وقت لآخر، ورجل في مثل سني يجب أن يقوم بذلك، ومازال ينتابني الصداع والغثيان من أثر تلك الجرثومة القديمة، ولكن لا شيء يستدعي القلق، ان الكثيرين

يعيشون بينما يعانون من مضايقات أسوأ من هذه كثيراً.»

سألته في منتهى الجد. «أليس هناك سبيلاً للتخلص منها؟»

«كلا، كما يبدو، يا عزيزتي، ولكن الدكتور ريغبي يعتقد انها، بهذه الاعراض التي تسببها، تخرج نفسها بنفسها. ان الحميات القديمة قوية التأثير. والآن يكفي الحديث عني، لقد اخبرتني شاري أن بإمكانها ان تحصل لك على الثوب الذي تريدين لأجل حفلة راف، فهي ستطلبه من سيدني، ولهذا تريدك ان تزوري متجرها في اقرب وقت لتتحدثا عما ترغبين به، أظن ان اللونين الأحمر أو الذهبي يناسبان جداً لون شعرك وعينيك.»

فقالت حالمة: «اتعلم انك تفسدني بالتدليل؟»

نظر أبوها إليها وعيناه تلتمعان بالمحبة. «يا ابنتي، أليس رائعاً ان تكون لي الحرية في أن ادللك؟ على كل حال، فلن تكوني الوحيدة التي ستذهل الناس، فقد أوصيت على سترة سهرة وهي الوحيدة التي اقتنيتها في حياتي، انها بيضاء كسترة راف، وأنا واثق من أنه لن يمانع.»

سألته شيلي: «انك تحبه كثيراً. أليس كذلك؟»

أجاب بشيء من الخشونة: «انه الرجل الذي أريده لك.»

قد يكون هذا صحيحاً، ولكنه بعيد عن الإمكان، كما حدثت شيلي نفسها.

* * *

وحان يوم الرحيل إلى جزيرة الاحلام، فارتدت شيلي أحد اثوابها الجديدة، وكان نصفه الأعلى أبيض اللون

www.elromancia.com

بحواشٍ زرقاء، ووضعت على رأسها قبعة واسعة، وعلى عينيها نظارات شمسية، وكانت مليئة بالتوقعات والإثارة التي كانت تجاهد في سبيل التحكم فيها، والأسوأ من كل ذلك، كان تشوقها لرؤية راف مرة أخرى، والليلة الماضية اخذت تخط رسماً تخطيطياً لرأسه، فأمسك أبوها بالرسم هاتفاً. «انها رائعة يا عزيزتي، وسأريها لراف.»

وجاء راف الساعة التاسعة والنصف، وتوترت شيلي كعادتها كلما شاهدته، احضر والدها الرسم الذي صنعته شيلي، فناوله لراف برضى واضح. «انه شاهد آخر على موهبة شيلي.»

أخذ راف يمعن النظر في الرسم بدقة. «انه جيد جداً، يا شيلي، انني اتطلع إلى لوحاتك التي صنعتها.»

ضحك مارك وقال: «إن شيلي تتوخى دائماً الأحسن في عملها، يا ولدي، انني اقول لك هذا الآن لكي لا تصاب بخيبة أمل.»

سألته شيلي مرة أخرى: «ألن تأتي معنا، يا أبي؟»

فهز مارك رأسه قائلاً: «أن مزاجي مقبل على العمل الآن، فاستمتعا بوقتكما، انتما الاثنين.» ولوح لهما بيده إلى أن توارياً.

وعندما اصبحا في الشارع، قالت: «إلى متى سيظل أبي يحاول أن يجمعنا معاً؟»

ألقى عليها نظرة جانبية، ثم قال: «هكذا الآباء. تبدين رائعة، هل تأملين في أن تؤخذ لك صورة؟»

«كلا، ولكن بإمكانك أن تأخذ بعض الصور، إذا شئت، ربما يحب أبي أن يمتلك بعض صوري، لقد اشترى لي كل هذا.» واضافت ذلك دون تفكير.

فقال بلهجة باردة: «ليس صحيحاً.»

سألته بذعر: «ولِمَ لا؟ ألا أستحق ذلك؟ انني لم أطلب منه ذلك مطلقاً، وما كان لي ان اهتم بسوء تأويلك لهدايا أبي لي، فهذا أمر طبيعي تماماً.»

فنظر إليها بحدة: «إذا كان هذا ما تعتقدينه.»

قالت ضارعة: «دعنا نمضي يوماً بهيجاً، هل غضبت دانييلا لعدم دعوتك لها للحضور؟»

«قليلاً، هل تلومينها؟»

«كلا أبداً. ماذا عن كل تلك الشائعات التي اسمعها؟»

فقال دون اهتمام: «أية شائعات؟»

«ان منطقة الشمال كلها تتوقع اعلان خطبتكما؟»

فقال بجفاء: «سننتظر ونرى، وأثناء ذلك، فأنا رجل حر.»

وصلا إلى الجزيرة قبل الظهر حيث نقلتهما طائرة مروحية فوق غابات ماطرة كثيفة، ومجارٍ مائية تحف بها اشجار الدلب كهوف، جزر مرجانية وأبراج. ومن الجو، كان انعكاس الألوان في المياه رائعاً، جزر زمردية تتألق كالحلقات في البحر الفيروزي، وكانت الأقنية تجري عاكسة للألوان المختلفة، ما جعل شيلي، تفكر في انه لا يمكن أن يوجد الكثير من المناطق الأرضية التي بامكانها منافسة جمال هذه الجزر المذهل.

كانا قد هبطا في الناحية الغربية من الجزيرة، حيث كان هناك منتجع صغير، ورفعت شيلي ناظريها إلى قمتين شاهقتين كانتا تشطران الجزيرة من وسطها، لقد ظهرا تماماً كجناحين، مما رأت معه أن اسم الاحلام، هو ملائم

لمثل هذه الجزيرة. كانت تعلم أن هناك عشرين كوخاً بين اشجار النخيل ولكنها لم تستطع رؤيتها من الشاطىء. كان الخليج وبحيرته يشكلان نصف دائرة ضخمة يحدها من طرفيها صخور سوداء، وكانت الرمال نظيفة، والمياه المتألقة صافية كالبلور، بدا كل شيء لعينيها شاعرياً إلى درجة لا تصدق.

هرع راف إليها يبعدها نحو الأشجار عندما بدأت المروحية بالارتفاع. وبعد ذلك بلحظات، ظهر عامل وتوجه نحوهما وهو يرفع يده محيياً: «مرحباً، يا راف.»

فقال لها راف: «انه تيري روغان مراقب العمال عندي، إنه رجل ممتاز وعامل نشيط. وممتاز مع العمال.»

وصل إليهما مراقب العمال وعلى فمه ابتسامة عريضة، فقدمه راف إلى شيلي. كان تيري روغان في اوائل الاربعينات من عمره، أشقر الشعر أزرق العينين، وكانت ملامحه تنبىء عن طبع هادىء طيب. مشت شيلي بجانب الرجلين بهدوء بينما كانا يتحدثان عن سير العمل، وعندما رفعت نظراتها رأت لأول مرة كوخاً مستكيناً بين اشجار النخيل والخيزران، كان واضحاً أنه صمم خصيصاً ليلائم طبيعة البيئة. وكان هذا من النجاح بحيث كان لا يلبث ان يختفي بعد مسافة قصيرة. فأعجب هذا شيلي، ما جعل راف يتابع نظراتها، ليقول: «انه يظهر فجأة، أليس كذلك؟ وهذا ما أردته أنا، السقف من خشب الساج بينما الهيكل من الفولاذ وهو ضد الأعاصير، جميل وعملي.» كان الطابق الأرضي مفتوحاً حيث بدت غرفة جلوس فسيحة ومطبخ صغير وغرفة نوم رحبة ملحق بها حمام.

«إن الجزر الأخرى تقدم معدات ممتازة للعائلات

والمجموعات، ان جزيرة الاحلام هي شيء خاص. إننا نريد ان نمارس ضبط النفس، ونتوقع من ضيوفنا ان يكونوا بالغي التأثر بالبيئة، فالسائحون قد يحدثون الكثير من الخراب إذا كانوا مهملين. فهم سيستعملون ما توفره لهم الجزيرة من معدات. زوارق مسطحة، مجاذيف التزلق على الماء، أدوات صيد السمك، انابيب توصيل الهواء تحت الماء لمن يريد الغوص، الأمان وعدم التكلف هو الشعار اليومي.»

«لا هاتف؟ لا تلفزيون؟»

هز رأسه: «هناك فقط روعة القمر الاستوائي واغنية البحر.»

«يا لها من شاعرية.» وتاهت نظرات شيلي وقد امتلأت احساساً لكل نبرة في صوته.

وقال تيري روغان: ان راف لن لم يخبرك. فهو قد نال جائزة على مشروعه هذا الذي يوفر (الراحة، التصميم الفني، والشكل القويم الخالي من الأخطاء والذي يتلاءم مع البيئة) حسب النص.»

فهز راف كتفيه: «ان تصميم البناء هو مسؤولية كبرى. فهناك مشكلات كثيرة في الأنحاء يجب ان تجد لها حلاً، والتلوث نفسه مشكلة كبيرة، وستتولى التأثيث شركة كبرى للتصميم الداخلي. وهم في غاية الكفاءة، فقد سبق وتعاملت معهم، فالمطلوب هو مواد وأقمشة طبيعية. إن بإمكاني أن اريك صوراً وتصاميماً لهذا، وذلك في الدائرة الحكومية. وهي قرب المطعم والنيابة المركزية، كل المباني متصلة ببعضها بطرق للسير، ولكنها منعزلة عن بعضها تماماً.»

وإذ نظرت شيلي خلفها، دهشت للتعبير الذي رأته على

ملامح تيري روغان، كان تعبيراً ودوداً وإنما يحتوي على تأمل وتخمين، لا بد أنه يعلم كل شيء عن دانييلا، والآن ها هي ذي امرأة أخرى تظهر على المسرح، وقابل هو نظرة شيلي المتسائلة بابتسامة عريضة. «أنا واثق من أن الرئيس يريد ان يريك بقية المكان بنفسه، يا آنسة سيتوارت، لقد سررت بمعرفتك. اوصلي تحياتي إلى أبيك.»

وعندما عادا إلى الطريق، استدار راف إلى مراقب العمال. «هل عدتم فرأيتم ذلك الزورق السريع؟»

اجاب تيري روغان: «كلا، ولكننا مازلنا نراقب الأمور، المسألة هي، ان كل شخص يريد ان يعرف ما تصنعه، يا راف. وقد لا يكونون سوى سائحين. ان رجالنا يقظون، ستان والآخرون يقومون بدورية للحراسة أثناء الليل.»

«هذا حسن.»

وتبادلا بينهما عدة كلمات أخرى على حدة، بينما أحنت شيلي رأسها تشم زنبقة حلوة الشذى. كان من المستحيل ألا تشعر بحواسها تأسرها هنا، في جزيرة الاحلام هذه.

توقف راف فجأة في الطريق ليشير إلى مكان مميز، ما جعلها تجفل إلى حد سقطت معه إلى الخلف.

فقالت: «لا تهتم بأمري انها مجرد حماقة مني.»

رد عليها بحدة، ما يدل على انه يشعر بنفس ما تشعر من انفعال: «حماقة ناطقة، اننا لسنا في جزيرة منعزلة تماماً. ربما ستشعرين بمزيد من الأمان عندما نصل إلى المجمع المركزي فالرجال يعملون هناك.»

قالت بصوت منخفض: «لا تغضب. انك تثير اعصابي رغم كراهيتي الاعتراف بذلك.»

في البناء المركزي، كان هناك آلة رافعة تضع حجراً مستديراً، ضخماً عند طرف سقيفة خضراء قاتمة. وعلى سطحها كانت تطفو زنابق المياه كبيرة الحجم فواحة العبير وذات الوان تختلف بين الابيض والذهبي، وكلها تتفتح على سطح المياه. كان منظراً بالغ البهاء. وتقدمت نحو قنطرة فوق المياه. لقد سبق ورأت أزهار اللوتس الزرقاء تنمو في البراري في هذه المنطقة، ولكن هذه كانت شيئاً آخر مختلفاً.

قال راف شارحاً وهو يتبعها: «انها رائعة، أليس كذلك؟ ان زنابق المياه تنمو عندنا بشكل جميل، لقد كنت شاهدت أزهار اللوتس الزرقاء في كل مكان، وكذلك الحمراء والوردية. البعض يقول ان المصريين القدماء كانوا عرفوا استراليا بلاد المراكب الغامضة. ذلك ان سكان استراليا القدماء كانوا يسيرون مراكب بهيئة الطيور. وفي كيب يورك خرائب ضخمة لأهرام، كوني واثقة من ان كثيراً من الملاحين سبقوا كوك إلى اكتشاف استراليا. الاندوسيون، الماليزيون، الصينيون، اليابانيون، فلماذا ليس المصريون؟ ان مجرى المحيط كان في مصلحتهم. وهناك شيء آخر، لقد أخذ المصريون القدماء القوس المرتد عن سكان استراليا الاصليين ام لعل الأمر بالعكس؟»

«إنه غموض يثير الفضول، فعلاً، أما أنت فقد انجزت هنا أشياء عظيمة احدثت في نفسي تأثيراً كبيراً تماماً.»

حدق إليها، ثم قال: «لقد انفقت على ذلك الكثير من المال، وقد ساهم مارك في ذلك.»

أحقاً؟ كم تبلغ **المساهمة؟» وتساءلت لماذا لم يخبرها أبوها بذلك؟**

سأدعه يخبرك بذلك بنفسه. فأنت وريثته، ولكن لا تدعي ذلك يدير رأسك الذهبي.»

«إنما سؤالي هو عادي تماماً.»

أرغمتها عيناه على النظر فيهما مباشرة: «إنه يبدو كأنه تحقيق دقيق.»

«ربما لأنك مصمم على تأويل كل ما أقوله بشكل خاطىء.»

ذهبا يتمشيان بعد ذلك على طول الشاطىء، ثم دارا حول الصخور متجهين إلى الناحية التي تهب منها الريح في الجزيرة حيث طرف الغابة الماطرة تمتد تقريباً مع مد مياه البحر، كانت الغابة هنا بالغة الكثافة، وكانت شيلي تنظر حولها طوال الوقت بعين الفنان المفتونة.

وفجأة، وقعت عيناها على مجموعة من زهور اللانتانا. فهتفت: «فراشات. ما اجملها.»

اجابها: «لا يوجد في جزيرتنا فراشات.»

فعادت تنظر إلى ملامحه المتوترة: «ولكنها موجودة الآن.» كان ثمة فراشتان رائعتا الجمال تحومان فوق مجموعة من الأزهار الوردية اللون، وعندما استدارت شيلي لتعاود النظر، كانت هناك فراشة أخرى على مقربة ترفرف في قناة من أشعة الشمس الذهبية. وكان جناحاها مصبوغين بالألوان الوردي والأخضر والبنفسجي.

همست شيلي: «يا للروعة.»

ولكن عيني راف كانتا تنظران إلى الفراشات بنظرات جليدية. وهو يكرر: «لا يوجد فراشات في جزيرة الاحلام، ليس هنا موطنها الطبيعي.»

ضحكت قليلاً حائرة امام موقفه هذا، ثم قالت: «ربما لم تلحظها من قبل.»

أجاب: «لقد جلت في كل انحاء الجزيرة، حتى انني صعدت إلى القمتين، وكذلك فعل ماركو. ولكن لم يكن هناك فراشات ولا سلاحف أو غيرها مما تصدره الطبيعة لمقاومتها. فإذا كان هنا فراشات، فلا بد أنها دخيلة احضرها شخص ما. وفي وقت قريب. انها لم تأت إلى هنا بنفسها انني بحاجة إلى عالم بالحشرات لكي يعرف هويتها. ولكنني أراهن على انها من صنف نادر.»

«اتعني انه ما كان ينبغي لها ان تكون هنا؟»

فهز رأسه عابساً: «ليس مسموحاً للمرء بأن يدمر موطن اصناف نادرة من الحيوان أو النبات يا شيلي. فهناك قوانين تتعلق بهذه الأمور. هناك حماية تمنح للطيور وتربية السلاحف في هذه الجزر، وكذلك لنباتات هذه المنطقة. من الواضح ان هناك شخصاً يريد ان يسبب لنا بعض المتاعب. ان التعطيل هو شيء مكلف. ومسألة الفراشات هذه يجب ان تدرس بعمق. هناك من استغل وجود زهرة اللانتانا، انها تنتشر حول غاباتنا الماطرة وتجتذب ألوف الفراشات. وكان هناك متجول عجوز اعتاد ان يعيش هنا منذ عشرين عاماً، لا بد أنه احضر زهرة اللانتانا إلى الجزيرة، فاغتنم وجودها شخص آخر.»

«وذلك لكي يسبب لك المتاعب؟»

«هذا ما يبدو، لا يمكن للمرء ان ينجح في هذه الحياة، يا شيلي، دون أن يجد لنفسه الاعداء، ان أمور البيئة هي حساسة جداً هنا، وأنا احاول جهدي في ان أبقى دوماً ضمن الإرشادات، وقد عرفني الجميع بهذا. وهذه الفراشات في

www.elromancia.com

الجزيرة ستسبب لي حتماً الخزي، وإلى جانب هذا، التعطيل يمكن أن يمتد إلى أن تحين الرياح الموسمية، والذي قام بهذا العمل يعرف هذه المنطقة الشمالية جيداً. وفي الحقيقة، هذا العمل بارع حقاً في ايجاد هذه المشكلة.»

«هل لديك فكرة عمن تراه قام بهذا؟»

قال راف بابتسامة صغيرة خطرة: «واحد أو اثنان.»

فابتدأت شيلي بالقول: «جيف غا...» ولكنها عادت فسكتت. لم يكن من شأنها ان تتهم احداً. ومع هذا، فقد أجاب راف بجد وهو يقطب حاجبيه بحدة: «كلا، ليس جيف. ان جيف هو، حتماً، قادر على هذا النوع من الأذى، حتى انه قادر على التفكير فيه كمشروع، ولكنني اشك في أنه نفذه بنفسه، ان جيف ما زال صديقي.»

وتساءلت شيلي بينها وبين نفسها عما إذا كان هذا صحيحاً، وكان اهتمام مارك بنفس القدر عندما علم بالأمر.

فسأله: «ألم يخبرك نيري بأن هناك زورقاً بخارياً كان يجول في أنحاء الجزيرة؟»

أجاب راف: «انه متأكد تماماً من عدم نزول أحد من الزورق، فالحراسة على الجزيرة كانت محكمة، ولكن لم يكن هناك من يخفر الناحية التي تهب منها الرياح.»

بان التفكير على وجه مارك: «قد يكون هاريس، هل فكرت في ذلك؟»

أومأ راف، قائلاً: «لقد خطر هاريس ببالي فعلاً، فأنا اراقبه منذ بعض الوقت، فقد كان يحاول أن يقنع جيف بأن مزرعة كامبيغلي معروضة للبيع، ولكنني حذرت جيف من انهم يستغلونه.»

بان القلق على مارك: «الا تظن ان جيف مشترك في هذا الأمر؟ إنه احياناً يتصرف بعدم مسؤولية بالغة عندما تكون حالته النفسية متعبة.»

وقف راف وقد بدا عليه الضيق، ثم سار نحو حاجز الشرفة. «لقد سبق وقام جيف ببعض الحماقات، من وقت مضى، ولكنني لا اتصور أن الأمر يذهب به إلى هذا المدى. فهو يعرف من هو هاريس، رجل مغامر جاء إلى هذه المنطقة منذ مدة قصيرة لاغتنام الفرص، وقد جعله بعض المتواطئين يكسب مبلغاً سريعاً، وهو يحاول ان يتوصل إلى امتلاك عقار، ولكنه لن يجد من يقف بجانبه، لقد طلبت من جيف ان يبتعد عنه لأنه محتال.»

حدق مارك في راف لحظة، وقد بدا عليه التردد بوضوح، ثم قال: «ربما كان فات أوان نصيحتك تلك له، ربما تحدثا عن طريقة لايذائك... وذلك بشكل مزاح، انتبه لهذا...»

فقال راف: «من الأفضل إذن أن اسأله.» ولأول مرة، تدخلت شيلي قائلة: «الأفضل اخبار السلطة أولاً، كما سبق وقلت بنفسك، فأنت لا تريد ان تصلك رسالة من مجهول تغير من نمط حياتك.»

نظر راف إليها بعينين براقتين: «يبدو انك تخفين بعض الشكوك بالنسبة إلى جيف. كنت اظنك معجبة به.»

فقالت: «ولكنني لا أكاد أعرفه. كل ما أعرفه أن الحسد هو من الخطايا المميتة.»

• • •

أثناء العشاء، تحدث مارك وابنته شيلي عن هذه الحادثة

بشكل اكثر تفصيلاً، وبمساعدة قوة ملاحظتها للتفاصيل والألوان، رسمت صورة قريبة تماماً من شكل تلك الفراشات وألوانها قدر ما أمكنها تذكره. وتفحص مارك الصورة وقد عقد ما بين حاجبيه. «لم أر قط مثل هذه الفراشة من قبل، مع أنني كنت شاهدت اعداداً كبيرة من الفراشات الإستوائية، ورسمتها أيضاً كما تعلمين من الواضح انها ليست من نوع أوليس الأزرق، رغم أن المسافة بين الجناحين هي نفسها تقريباً. كما ان نوع فراشات ليونيغ يمكنها أن تتخذ الواناً كثيرة مختلفة، ولكنني متأكد من انها ليست هي، كذلك، ومهما تكن، فهي غير عادية مطلقاً، ويمكن أن تحدث ضجة، كان لدينا هنا رجل ألماني وذلك منذ عدة سنوات، كان عالماً مفتوناً بنوع فراشاتنا وكذلك طيور الببغاء هنا، وكان من افتتانه بها أن حاول تهريب بعض تلك الطيور إلى خارج البلاد فأوقع نفسه في كثير من المشاكل، ويظهر أنه اصبح خبيراً تماماً. وآخر ما سمعت من اخباره انه يعيش في غابة ماطرة في الرأس البحري. على كل حال، يا عزيزتي، يمكننا ان ندع هذه الأمور لراف ليتصرف بنفسه، فهو سيصل إلى أساسها، حتى ولو كلفه هذا وقتاً ثميناً، لا احد سيصدق أن راف سيقبل بأن يضع انشاءاته في خطر. إنه محترم جداً ويستحق ذلك، هناك من وضع تلك الفراشات وذلك للتشكيك فيه، أو ايقاف انشاءاته، أو الاثنين معاً. ان راف، ككل شخص آخر، يبقى في عمله إلى نهاية الوقت، ذلك انه من الضروري ان ينتهي العمل في كل هذا قبل فصل الأمطار.»

«ألا تظن حقاً أن جيف على علاقة بهذا الأمر؟»

أومأ أبوها موافقاً، ببطء: «ان بعض الناس تزدهر احوالهم بالمنافسة، ولكن ذلك يدمر جيف، ان اهم شيء في حياته هو أن يكون مثل راف، لقد سمعته مرة يقول انه يود ان يذل راف، ولكن هذا كلام فقط، فأنا لا استطيع تصوره يضع خطة حقيقية للتشكيك براف ثم ينفذها، وذلك لسبب واحد وهو أنه سيصيبه الإذلال تماماً إذا اكتشف راف الأمر، فنحن جميعاً نعلم ما يريده جيف، ألا وهو اعجاب الآخرين به، ان حلم صباه كان دوماً ان يكون مثل صديقه راف كونواي.»

فقالت شيلي: «هذا محزن.»

قال مارك وهو يقف: «ان بإمكان جيف ان يغير الأشياء، كارلا مازالت تهتم به وعليه ان يتزوجها ثم يبدأ من جديد. ان لديه المقدرة على ان يجعل من نفسه انساناً ناجحاً، ولكن عليه الابتعاد اولاً عن امثال هاريس الذين يجلبون المتاعب.»

تقدمت شيلي تجمع الأطباق، فعاد ابوها ينظر إليها، قائلاً: «بالمناسبة يا ابنتي، زارنا اليوم بعد الظهر تيد ماسينغهام.»

«محاميك؟» ورفعت رأسها عما كانت تقوم به. فأومأ ابوها وهو يسير إلى منضدة مستطيلة في المدخل حيث رأت طرداً لم تكن قد لحظته من قبل.

قال لها أبوها بصوت خفيض تشوبه رنة ألم: «انه لك، وهو مرسل من نيوزيلاند على أن يسلم باليد، أحضره احد زملاء...» وتلعثم قليلاً، وبشيء من التردد تابع يقول: «احد زملاء زوج أمك والذي كان، كما فهمت، في طريقه إلى جزيرة هاملتون لقضاء إجازة، والمرسل هو امك كما هو مذكور

على الطرد. لا بد أنه مهم ما جعل أمك تتكبد في إرساله كل هذا العناء.»

وقفت شيلي والطرد في يدها، وهي تقول ببطء: «هذا غريب، ما الذي أنا بحاجة إليه لكي ترسله لي؟ لقد كنت كتبت إليها طبعاً، ولكنني لم اطلب منها شيئاً.»

فقال يستحثها وهو يبتعد: «افتحيه يا ابنتي.»

فقالت وهي تفتح الطرد: «لا تذهب يا أبي.»

بقي أبوها صامتاً بينما فتحت شيلي العلبة المستطيلة المسطحة المغطاة بقطيفة بسواد الليل الفاحم. وعندما رأت ما بداخلها كادت تنهار.

كان في العلبة عقد رائع من اللؤلؤ، قال أبوها: «حسناً، لقد حصلت عليه الآن.» كان يتكلم بهدوء ولكن عينيه كانتا تلمعان، وكان في العلبة بطاقة صغيرة اخرجتها شيلي ونظرت إليها، كان فيها ثلاث كلمات فقط هي. «اصفحي عني يا ابنتي.»

نعم، الصفح... ودائماً!

وضعت شيلي العلبة على المنضدة، ثم سارت إلى أبيها قائلة: «ما اجمله، لقد غمرتني بعطفك.»

رد عليها قائلاً: «لقد ذهلت انا نفسي لهذا، اننا كلنا نقترب من الحكمة، يا شيلي، لقد كانت أمك تعلم دوماً انها ستعطيك العقد.» ومشى نحو المنضدة، وتناول عقد اللآلىء من العلبة، وبينما استدارت شيلي تزيح شعرها عن رقبتها وضع هو العقد قائلاً بسرور: «هاكه، ألقي نظرة على نفسك.» سارت شيلي على الفور نحو المرآة ثم وقفت امامها تنظر إلى انعكاس صورتها فيها، كانت لآلىء، البحر الجنوبي النفيسة

تتألق. كانت الواحدة منها بحجم الكلة الزجاجية التي يلعب بها الأطفال، وتذكرت ما كان راف قاله مرة من أن شراءه لتلك اللآلىء قد كلفه مبلغاً باهظاً أثر على حالته المالية كثيراً.

لم تكن قيمته هي المهمة، بل حب أبيها لها، فأبوها لم ينسها قط، كما أنها هي أيضاً لم تنسه.

www.elromancia.com

الفصل السادس

أخذت شيلي تدور حول نفسها امام المرآة وقد ارتدت ثيابها للحفلة فبدت في أجمل مظهر. فكرت في أن أباها سيكون مزهواً بها.

استدرات شيلي نحو المرآة مرة أخرى تسوّي من عقد اللآليء الذي كان يلتف حول عنقها فيزداد تألقاً وجمالاً. وكان أبوها قد أهداها قرطين متدليين من اللؤلؤ، كذلك. أما من أين استطاع إحضارها فهذا ما لم تكن تعرفه، ولو لم تكن تأمل في أن تجاريه في الانفاق المالي، ربما كان مارك ستيوارت سكن بيتاً عتيقاً. لقد أسرت إليها شاري صاحبة المتجر الذي أحضر لها أبوها منه كل تلك الهدايا، بأن سكان المنطقة جميعاً يعلمون أن أباها غني جداً، معقبة على ذلك، «تذكري أنه شريك راف كونواي.»

أترى راف سيصدّق يوماً أنها لم تكن تعلم شيئاً عن ظروف أبيها هذه عندما جاءت؟

وعندما رآها أبوها، قال بسرور: «إن هذه الحفلة ستجلب لي خيراً غير محدود. ها أنت ذي قد وضعت عقد اللؤلؤ. كم يبدو رائعاً.» وكان هو نفسه يبدو رائعاً في ثياب السهرة الجديدة التي يرتديها.

أجابت شيلي: «لا أدري ما الذي فعلته لأستحق هذا، يا أبي.» وسارت إليه تسوّي من ربطة عنقه وقد بان العطف في عينيها.

قال برقة زائدة: «لقد كنت دوماً تثقين بي، يا شيلي إنك الآن بنفس الحلاوة التي كنت عليها عندما كنت طفلة صغيرة. أحلى فتاة صغيرة في العالم.»

حين رآها راف، تمتم يقول ساخراً بصوت منخفض بحيث لا يسمعهما أحد: «من سبغ عليك كل هذا الجمال؟ الحب؟»

وأسرعت دانييلا تتعلق بذراع راف وهي تقول: «مساء الخير يا مارك، وأنت يا شيلي. ما أحسن مظهركما، أنتما الاثنين.»

وسمّرت عينيها على عقد اللآليء الذي يتألق حول عنق شيلي، وهي تقول غير مصدقة: «لا يمكن أن تكون هذه لآليء حقيقية.»

قال مارك ضاحكاً: «بل هي كذلك. إنها هديتي لها في ذكرى مولدها الواحد والعشرين. إنه يلائمها بشكل رائع، أليس كذلك؟»

فقال راف بلهجة مهذبة: «إن شيلي مميزة.» ولكن خيّل إلى شيلي أنها ترى فتوراً مفاجئاً في عينيه. واستدار ينظر في أنحاء المنزل الذي يشع بالأضواء، حيث الأزهار في كل مكان، والموسيقى والحديث والضحكات تنساب من كل غرفة، ثم قال: «حسناً، بما أن كل المدعوين قد أصبحوا هنا، فهم بانتظار التعرف إلى ضيفة الشرف. دانييلا، سأتجه بشيلي إلى الداخل إذا لم يكن لديك مانع.»

توهج وجه دانييلا، وأرخت قبضتها عن ذراعه كارهة.

ولكن مارك قدم لها ذراعه قائلاً: «أرجو أن تشرفيني بالدخول معي، يا دانييلا.»

كان جيف هناك، وكان يبدو أنيقاً جذاباً، وكان يتحدث إلى خطيبته السابقة كارلا، وهي فتاة حلوة خجول. وكانت زايا أيرين هناك، وحيت شيلي بشيء من الغضب، ربما لأن

www.elromancia.com

شيلي تفوقت هذه المرة على ابنة أخيها الحبيبة فحجبتها. وكان هناك أيضاً أقرباء آخرون لراف.

كما كان هناك أصدقاؤه، وأكثرهم يعرفون مارك والذي يبدو أنه كان محبوباً منهم. ولكن رغم كل هذا، لم يهدأ اضطراب شيلي. ربما ما كان لها أن تتزين بعقد اللآلىء هذا. لقد كان هذا يدينها بشكل ما. ومن سيلوم راف لاعتقاده بأنها إنما كانت تتجاهل أباها حتى الآن؟

أظهرت دانييلا نحوها، فيما بعد، تهذيباً فائق الحدّ، ولكن شيلي أدركت أنها كانت مستاءة وغيوراً. ويبدو أنها لم تكن تريد من راف أن يقيم حفلة على شرف شيلي على الإطلاق.

قال راف لها ببرود:

«لشدّ ما أنت رائعة.» فذهلت لشيء التمع في عينيه. أهو سخرية؟

وسألته بذعر: «أتراني فعلت شيئاً؟»

قال وهو يحدق في عينيها: «لا شيء. لماذا تسألين؟ إنك تتألقين كلؤلؤة.»

كم كانت حمقاء ساذجة إذ تزينت بتلك اللآلىء. لا بد أن فكرته عنها بأنها نهمة طماعة، قد أصبحت الآن أقوى من أيّ وقت مضى. فهي الابنة المسرفة التي جاءت لتستفيد من اموال والدها. فسألته بهدوء: «أهذا هو الأمر؟ لم يعجبك أن أتزيّن بعقد اللآلىء هذا. حسناً، لقد كانت خبأته أمي، وها قد أرسلته إليّ الآن.»

أجاب بلهجة قاطعة: «دعي المزاح الآن، وانظري إلى مارك كيف يستمتع بوقته. إن حبه الكبير لك لهو شيء رائع.»

قالت بسرعة تدافع عن نفسها: «وأنا أيضاً أحبه.»

«هكذا بصورة مفاجئة، أليس كذلك؟»

فجرحت كلماته هذه مشاعرها. فقالت له: «دعني أذهب، يا راف.»

فنظر إليها وعلى ملامحه تعبير خطر، «سأساعدك تذهبين حين اريد أنا. هل بلغ كظم كل منا غيظه من الآخر، حداً يحملنا على الشجار أمام الناس، وفي حفلة؟»

«كنت أظن هذه الحفلة لأجلي.»

«إننا، نحن الاثنين، نقوم بها لأجل مارك، وأنت تعلمين ذلك. لأنني معجب به واحترمه واعتبره صديقاً مخلصاً وشريكاً يستحق الثقة. وأنت لأنك تحبينه وكذلك لأنك تبنين على يديه مستقبلك.» وأضاف بحدة:

«حذار. إن الجميع ينظرون باتجاهنا.»

«إنني منتبهة تماماً إلى ذلك.»

«ابتسمي إذن ولا تظهري الغضب.» وسار متجهاً بها إلى الشرفة.

وأخرجها أبوها من اضطرابها هذا وهو يجيء إليها بادي السعادة ما جعلها تشعر بالهدوء: «لقد جاء السيد جمايسون وزوجته، يا عزيزتي، وهما في الطابق الأرضي. فقد أصيبت ماريزا بالصداع من تأثير الرحلة ما جعلها تأخذ غفوة قصيرة. وقد استراحت الآن.»

فقالت وهي تحاول استجماع نفسها المشتتة: «أهو وكيلك، يا أبي؟»

«وآمل أن يكون وكيلك أنت أيضاً، يا ابنتي.»

«إنه امل ضئيل، يا أبي. فأنا لم أصل إلى درجة الجودة بعد.»

www.elromancia.com

نظر إليها بعينين مليئتين بالزهو والثقة بها: «هذا هراء، فلشدة حبي لك، لا أستطيع أن أكذب عليك بالنسبة لموهبتك. إنك موهوبة وعليك أن تثقي بذاتك. إن هذا ما ينبغي لكل إنسان.»

وكان الزوجان جمايسون في غاية اللطف. وكانا في نهاية العقد الرابع من عمرهما، وبالغي التجرد والحنكة. فقد استقلا الطائرة خصوصاً لحضور هذه الحفلة، وسيمكثان مع راف عدة أيام.

قال بول جمايسون لشيلي: «يمكنك أن تتصوري مقدار ذهولي عندما أخذني راف لرؤية لوحات أبيك. إنه فنان رائع، كما أن أعماله لم تعرض من قبل قط. إنني لا أكاد أصدق حظي. كان يجب أن يكتشفوه منذ سنوات.» وألقى نظرة جادة على مارك، «لقد أقمنا ثلاثة معارض، حتى الآن بيعت كل معروضاتها. وثمة معرض آخر سيقام في آذار (مارس) القادم. إن لدى مارك أكواماً من اللوحات سنفرج عنها من وقت لآخر. لا بد أنك فخورة جداً به، يا شيلي. فقد استقبله الناس والنقاد بشكل رائع. وهو يخبرني بأنك فنانة أنت أيضاً.»

«ما أجمل أن يقال إنني فنانة. إذ أنني لم أقم سوى معرض واحد، وكان في أوكلاند. ولكنه كان ناجحاً تماماً.»

فرفع بول جمايسون حاجبيه: «هذا حسن وأرجو أن أتمكن من رؤية بعض أعمالك. ربما الاثنين القادم، إذا تدبرنا الأمر. حتى ولو لم أتمكن من القيام بالأمر بنفسي، فإن بإمكاني توجيهك في الطريق الصحيح.»

تحدثوا حوالي العشر دقائق قبل أن ينضم راف إليهم، حيث توجه بالكلام إلى ماريزا مباشرة: «لا يبدو عليك أثر

من الصداع. إنك تبدين كالزهرة في هذا الثوب، يا ماريزا.»

«شكراً يا عزيزي فأنا أحب المناسبات التي يمكنني فيها ارتداء أثواب جميلة، وهذا المكان الرائع هو مكان مناسب تماماً لهذا.»

قال لها راف وهو يذهب للترحيب ببعض الضيوف: «لا تبتعدي كثيراً عن هذا المكان.»

ألقت عليه نظرة غاضبة، «إن سيبيريا ليست بعيدة عنك بما فيه الكفاية.»

وفي هذه اللحظة، اقترب منها جيف غانت وعلى شفتيه ابتسامة: «إن معجبينك هذا المساء، يا شيلي. فقد انتظرت طويلاً إلى أن أصبحت وحدك فجئت إليك.»

فقالت: «آه، جيف. تفضل بالجلوس.»

ابتسم قائلاً: «دعينا نذهب إلى الشرفة. فالمنظر رائع هناك باكتمال البدر.»

وكانت المناضد والمقاعد منتشرة في الحديقة. فغاصت شيلي في مقعد وثير وهي تسأله: «كيف حالك، يا جيف؟»

«أنا بخير. بخير تماماً.» ولكنه عاد فاعترف قائلاً: «كلا، ليس تماماً. ثمة أمر أو اثنان يشغلان بالي.»

«أرجو ألا تكون مشكلات صعبة.»

فأجاب: «هذا ممكن، كما أظن.»

وأخذ ينظر إليها بإمعان جعلها تقول له: «هل ثمة ما يمكنني أن أساعدك به؟»

أجاب بعد فترة صمت طويلة: «ربما بإمكانك ذلك. فليس هناك كثير من الناس يمكنني التحدث إليهم. ويبدو أنك من الناس المتفهمين جداً.»

فقالت بهدوء: «أليس من الأسهل عليك أن تدخل في الموضع رأساً، يا جيف؟»

«آه، كلا. لن أضايقك هذه الليلة. ما رأيك في تناول فنجان من القهوة في مقهى، الأسبوع القادم؟»

أومأت قائلة: «ما عدا يوم الاثنين. لأن لدينا، أنا وأبي، موعداً ذلك النهار.»

قال وهو يتخلل شعره بعصبية: «ماذا عن الثلاثاء، هناك بعض الأماكن الجديدة في المدينة، ما رأيك في مقهى ميلانو؟ إنه حسن جداً.»

«إنني أعرفه. أليس بإمكانك أن تخبرني عن الموضوع؟»

أجاب بشيء من العبوس: «ليس هنا. ليس في هذا الوقت. يا لهذا المنزل.» ونظر حوله، «إن راف مهندس نابغة، هذا بينما لم يصل إلى القمة بعد. ولسبب لا أستطيع فهم غوره، أراني أخبر الناس دوماً بأنني أنا الذي قمت بهندسة منزلي، بينما الحقيقة أن راف هو الذي قام بذلك.»

قالت برقة: «لا تأخذ ذلك على محمل الجد، يا جيف. إنما لا تعد إلى فعله.»

فضحك قائلاً: «لقد اعتادت كارلا أن تقول لي ان الأمل الوحيد لي هو الرحيل بعيداً.»

«عن هذه المنطقة؟»

«من الأرض التي يتواجد فيها راف. أتعلمين يا شيلي أنني أعذب نفسي في سبيل أن أكون مثله، ولكن ليس لدي حظ.»

«إذن لا بد أن يكون ما قالته لك كارلا هو منتهى التعقل.»

فقال جيف بابتسامة مست قلبها الحنون: «ما الذي

بإمكاني أن أقدمه إلى كارلا؟ إنني أحاول وأحاول ولكنني لا أستطيع أن أنجح بشيء.»

«ربما تجتهد في محاولاتك ولكن مع أناس غير مناسبين.»

أظلم وجهه وحملق فيها بدهشة: «غريب قولك هذا. ماذا تعنين؟»

«لقد تكلم أبي وراف عن شخص يدعى هاريس.»

خفض جيف بصره: «إنه شخص أتمنى لو لم أعرفه قط.»

«أتراه يسبب لك ازعاجاً؟»

فنظر إليها بوجه جامد: «إنه الإزعاج بنفسه. ولكنني في طريقي إلى انهاء علاقتنا القصيرة تلك. لا تنظري إلي بمثل هذا الشكل، يا شيلي. إنها شهامة منك أن تهتمي بأمري وبشؤوني الخاصة. إنني لم أعرف رقة المرأة منذ...»

«منذ كارلا؟ إنك ما زلت تحبها، أليس كذلك؟»

هز رأسه وقد أظلمت ملامحه: «لقد أخبرتك بأن ليس لديّ ما أقدمه لها.»

«وماذا عن حبك؟ لقد بدا لي حين تعارفنا، أنا وهي، أن كارلا كانت سعيدة معك.»

«لو تزوجتني كارلا، سرعان ما تعود إلى عقلها. إنها لا تدري متى ينحسر عنها الثراء. إن كل أفراد أسرة راف هم أثرياء. فقد ترك بيترو العجوز لبناته إرثاً طيباً، وأزواجهن لم يكونوا فقراء أبداً. لقد جاءني كسب مفاجيء منذ حوالي سنتين، ولكنني خسرته. ذلك أن راف هو رجل مجازف، ففكرت في أن أكون مثله، ولكنني بعكس راف، فشلت في كل مشروعاتي. وقد كلفني هذا أكثر من مجرد المال... كلفني

احترامي لنفسي. إن الحسد يأكل قلبي... حتى انني أفكر أحياناً في أنه إذا كانت هناك طريقة لتدمير راف، فلن اتوانى.»

«ألن ينتهي بك هذا إلى وضع أسوأ؟»

ضحك بمرارة: «كلامك صحيح تماماً.» ونظر من فوق رأسها وتابع: «لا تلتفتي، لأنه يظهر أن دانييلا في طريقها إلى هنا. كان يجب أن تري منظرها عندما كنت وراف جالسين معاً. آه لو أن النظرات تقتل. أظن أن كل شخص كان يرى اللهب يتصاعد منكما.»

«هل كان ذلك واضحاً إلى هذا الحد؟»

وبعد لحظة واحدة، وصلت دانييلا إليهما حيث حياها جيف ونهض واقفاً يبغي الهرب: «أتريدان أن أرسل إليكما شراباً بارداً؟»

فأشارت إليه دانييلا تأمره بالابتعاد وهي تقول: «شكراً يا جيف، كلا. ليس لأجلي.»

ومن فوق رأس دانييلا اللامع، أبدى جيف تكشيرة ساخرة وهو يغمز شيلي بعينه.

وحالما ابتعد جيف، ابتدأت دانييلا تقول: «لا أستطيع أن أصدق ما تقومين به، يا شيلي.»

فلاحظت شيلي أن اليدين الصغيرتين كانتا ترتجفان. فقالت: «ما الأمر، يا دانييلا؟»

قالت دانييلا: «منظركما معاً، لا أحد يجلس بهذا الشكل حتى ولو كانا مخطوبين. لم أحب أن يرى الناس هذا. ضيوفنا أقاربنا.»

ردت شيلي بحدة: «من الأفضل أن تذهبي وتتكلمي مع جيف عن هذا.»

فقالت دانييلا وعيناها تلتمعان: «ليس جيف من قصدت بكلامي. إنك تعرفين تماماً أنني أقصد راف.»

«هل أخبره بألا يجلس بقربي بعد الآن؟» وساور شيلي الغضب، ولكنها حاولت كظمه. «أظنك تجاوزت حدك، يا دانييلا. فليس أنا ولا هو، حسب ما أعلم، مسؤولاً أمامك عما يقوم به.»

«ألا تعلمين؟ ألم يخبرك؟»

قالت شيلي وقد تملكها فضول أعمى: «أشعر بأنك ستخبرينني بنفسك.»

فقالت دانييلا وهي تنظر إلى أظافرها الطويلة: «إنني في غاية الإستياء. لقد تغيرت علاقتي براف تماماً في السنتين الأخيرتين. كان من قبل ينظر إليّ كطفلة، فيغيظني ويضحك معي. ولكن كل هذا قد تغيّر. فقد ابتدأ راف يهتم بي بشكل مختلف تماماً. إنني لا أكذب عليك، يا شيلي.»

قالت شيلي بهدوء: «من الغريب أنني أظنك تفعلين ذلك. إن من السهل خداع النفس، يا دانييلا، هل أنت متأكدة من أنك وراف لم تعودا مجرد صديقين؟ أو قريبين؟»

أجابت هذه على الفور، صارخة، بانفعال: «إنه يحبني.» واحمرت وجنتاها.

فقالت شيلي ببساطة: «أظنك تكذبين، يا دانييلا.» تغيرت ملامح دانييلا وكست وجهها السخرية وقالت بلهجة مسرحية وهي تهز كتفيها: «لِمَ لا تسألينه؟ نعم، إسأليه. ففي منزل بهذا الحجم... من السهل أن نزوغ من عمتي زايا إيرين.»

أدركت ماذا يعني هذا لها، فهي غير صالحة لمثل هذه المواجهات.

www.elromancia.com

تابعت دانييلا كلامها: «إنني أعيش فقط لكي أضع خاتمه في إصبعي. وأنا أعتقد أنه سيطلب مني الزواج قبل أن أعود إلى بلدي. وكذلك عمتي تعتقد هذا. فنحن نعرف الدلائل.»

هزت شيلي رأسها بأسى، رغم أنها كانت تشعر داخلياً بالغثيان، وقالت: «كم يكون الأمر قاسياً أن تجدي هذا كله مجرد أماني.» هل من الممكن أن يكون هذا صحيحاً. أن يحب راف دانييلا؟ ولكنها لم تشعر منه نحو الفتاة أية عاطفة قوية، ولا دلائل شاعرية.

قالت دانييلا بلطف وكأنها تريد أن تزيد في ألم شيلي: «أنا أعلم أن من الصعب عليك أن تتقبلي هذا. فقد رأيت منذ الليلة الأولى أنك انجذبت إلى راف. وكيف ألومك؟ إن راف يحرق حياة المرأة. ربما كنت تأملين في علاقة معه. وربما حقاً كما كان قال عنك إمرأة تتحينّ الفرص.»

أجفلت شيلي وكأنها تلقت ضربة: «لا أصدق أن راف قال لك هذا.»

«اؤكد لك يا شيلي أنني لا أكذب عليك. فقد كان هناك الكثير من المشاكل في أسرتك، أليس كذلك؟ ثم أنك لم تزعجي نفسك بالمجيء لرؤية أبيك من قبل. وإذا بك تأتين فجأة بعد أن علمت أنه أصبح غنياً. فكري في ذلك، ارجوك. الا ينبيء هذا عن أنك إمرأة مرتزقة مادية يسيّرك الطمع؟»

قالت شيلي بصوت متوتر: «إنني لن أجلس هنا لأسمع هذا النوع من الكلام، يا دانييلا. ربما كان راف حبيبك، ولكنه ليس حبيبي، وأكون شاكرة لو توقفتما عن التدخل في أموري الخاصة. وأنتما، على كل حال، مخطئان تماماً.»

فقالت دانييلا متلعثمه: «إنني إذن آسفة، آسفة جداً.

ولكنني أكرر فقط ما يقوله راف. إنه موقف صعب، فأبوك هو شريك راف وبطبيعة الحال هو يريد أن يرعى مصالحه. وأنا في الحقيقة، أحاول أن أساعدك، يا شيلي، حتى ولو لم أنجح في ذلك تماماً. فإنك في مثل هذه الملابس، لا يمكن لرجل أن يمتنع عن النظر إليك. فمنظرك رائع ومثير. حتى إنك فتنتني أنا. ولكن يجب أن تعلمي أن الرجال بهذا الشكل.»

فقالت شيلي وقد أذهلتها المرارة التي في صوتها: «بأي شكل تعنين؟»

«اسمعي يا شيلي، إنني لا أريد أن أستمر معك بهذا الشكل. أريد أن تصيح، أنا وأنت صديقتين.»

«أرجوك يا دانييلا.»

«إنني جادة جداً.» وكان في صوت دانييلا رنة من الحقيقة، «لقد ساورني الشك في أنك ربما لا تعلمين عما بيني وبين راف، فكان عليّ أن أحذرك. إن أسرتنا بأجمعها في انتظار إعلان خطبتنا. وكل ما أتمناه لو أن جدنا بيترو ما زال موجوداً. فالكل يعلم أن زواجنا كان هو ما يريده. ألا يمكنك أن تري ما تعنيه كلمة العائلة بالنسبة إلينا؟ قد يكون والد راف إنكليزياً، ولكنه هو إيطالي مائة بالمائة. ولا بد أنك لاحظت ذلك.»

فقالت شيلي: «إنه لم يذكر شيئاً عن الزواج منك.»

سألتها دانييلا وقد احمرّ وجهها: «هل تحبين أن يجيبك عن هذا بنفسه؟»

هزت شيلي رأسها: «كلا، بالطبع. ولكن لما هذه السرّية؟»

«إن الأمر كله يعود إلى ما إذا كنت تصدقينني أم لا. إنني

لا أبحث في مقدار جاذبيتك أو جمالك، ولكن المسألة هي أن اجتذابك لرجل ما، لا يعني أنه سيتزوجك.»

«طبعاً لا.» ومرت لحظة ثم وقفت شيلي قائلة، «إنه لطف منك أن تحذريني، يا دانييلا.»

«يا عزيزتي...» وبان الاكتئاب والألم الواضح عليها: «إن الرجال كلهم متماثلون. حتى حبيبي راف. ولكنني أؤكد لك بأنه يحبني.»

ابتعدت شيلي مسرعة وهي تفكر... ما الذي يعني هذا؟ إنني حمقاء تماماً؟ وأخذت تكافح موجة من الغضب تملكتها. أين هو أبوها؟ إنها لا تجده.

وفجأة، إذا بيد راف تمسك بها تجذبها إلى ناحية: «هنا. ماذا جرى لك؟»

قالت ببرود بالغ: «إنني أبحث عن أبي.»

فجالت عينا راف في أنحاء الغرفة الفسيحة، عابساً. «ربما هو في مكان ما يتحدث إلى بول وزوجته ماريزا.»

حاولت شيلي أن تتخلص من قبضته ولكنه شدّد قبضته وهو يقول: «ما الذي يحدث؟ أخبريني؟»

أجابت غاضبة: «لا شيء مطلقاً. ثم إنني أعارض تماماً في استخدام قوتك للتغلب عليّ.»

فسألها عابساً: «لماذا لا ترفعين صوتك أكثر؟»

وشحن الجوّ بينهما فجأة بالغضب.

«لم يسمعني أحد.»

دفعها راف نحو ممرّ منعزل ومنه إلى مكتبه الخاص، وهو يقول: «هناك ما جعلك تتفجرين بهذا الشكل.»

كان قسم من المكتب مبطناً بالكتب والخرائط والجوائز،

وقسم آخر رفوفاً قامت عليها ما بدا انها تحف رومانية إغريقية. كان مكتباً عصرياً واسعاً يواجه الباب، تحيط به كراسي عصرية منجدة. حتى أثناء تكدرها ذاك، لاحظت شيلي كل هذا، خصوصاً الرأس البحري الذي شاهدته من حيث كانت على الشرفة، هو الآن مرسوم بريشة والدها.

تركها راف فجأة، ثم وقف قرب الباب. وبعد ذلك بلحظة أغلقه ثم استدار إليها وقد توترت ملامحه: «لقد تركتك لعدة دقائق، وإذا بي أراك تتحدثين إلى جيف...»

قالت: «إنك لن تلومه طبعاً.»

«من المعروف عنه أنه يسبب المشاكل.»

«حسناً، ولكنه بالتأكيد لم يسببها الآن. إنني أشعر بأسف عميق نحو جيف.» ولم يكن هذا صحيحاً، ولكنها أرادت أن تغطيه.

يبدو أنه وجد جوابها هذا مثيراً للاشمئزاز، فقال بخشونة: «لا ينبغي لك ذلك. إن جيف يشعر بما يكفي من الأسف نحو نفسه.»

فصرخت بصوت مليء بالسخرية: «حسناً، ومن يمكنه أن يقترب منك؟»

اشتعلت عيناه لهباً، وقال بصوت هادىء: «شيلي كم أتمنى لو أصفعك.»

«ولِمَ لا تفعل؟» أشعر يا راف بأنك يوماً ما، ستمسك بي وتضعني في كهف، وهناك تسلك طريقك الشرير. حيث تنال كل ما تريد. أليس كذلك؟»

قال ببالغ الحرص والدقة: «أحقاً؟ هل أنت واثقة من أنك تعلمين عني كل شيء؟»

تدفقت الدموع من عينيها: «إنني لا أعرف عنك أيّ شيء، وهذه هي المشكلة. فكل ما أعرفه هو الجدال الذي يشتعل بيننا كلما كنا معاً.»

«وهل أنت غير مسؤولة عن هذا؟»

«تباً لكل ذلك، يا راف. إنك تحب العبث.»

«هل أنت واثقة من ذلك؟»

«هذا ما يبدو عليك.»

«هل هذا تبعاً لقول جيف؟»

«وما دخل جيف في هذا الأمر؟»

اجاب: «أظنني أعرفه أكثر مما تعرفينه. لقد كان صديقي ذات يوم، ثم بعد ذلك بدأ يسبب لي المشاكل. لم يكن في نيتي دعوته، خصوصاً لأجل كارلا. فقد نالها من الأذى منه ما يكفي.»

أطلقت شيلي ضحكة ساخرة: «هنالك أشياء في الحياة حتى أنت لا يمكنك السيطرة عليها. لماذا لا تدع جيف وكارلا يصفيان أمرهما بنفسهما؟ وحيث أننا دخلنا هذا الموضوع، أكون شاكرة لك جداً لو أنك تكفّ عن التحدث عني مع دانييلا. وقد سبق وأخبرتك بذلك من قبل. إنني أشعر لهذا بمرارة بالغة.»

نظر إليها وعلى وجهه تعبير خطر. «إذن، فقد جرى بينك وبين دانييلا حديث، أيضاً؟»

قالت وقد أعماها الغضب: «حيث أنك وجدت من السهل كشف أسرار أسرتنا، فلماذا لا تكشف أسرار أسرتك؟»

«مثل ماذا؟»

«مثل أنك تحب ابنة عمك وبموافقة عمتها.»

«أيتها الحمقاء.» وكان صوته ينطق بالاشمئزاز. فكان من شدة غضب شيلي أن أخذت تلهث وهي تقول: «حمقاء، ثمة من ينطق بالأكاذيب هنا، واعلم جيداً أنه ليس أنا.»

«إنك وقحة إلى حد مخيف.»

ردت عليه بحدة: «آه، نعم. هذه هي المشكلة معك. فأنت تظن نفسك فوق النقد. إنك لا تحبه ولا تقبله.»

«حسناً، هنالك شي مؤكد، وهو أنني لن أقبل منك شيئاً آخر.»

«آه، هذا حسن. حسن جداً. إنني مسرورة جداً للبقاء خارج حياتك. فابق أنت أيضاً خارج حياتي.»

فدفعه كلامها إلى أن يمدّ يديه محاولاً الإمساك بها، ولكنها انتفضت مبتعدة عنه.

إزداد التوتر في ملامحه: «لن أسمح لك أبداً بأن تفسدي هذه الحفلة. إن ما تقولينه هو شيء مهين فاضح. وأنت بهذا تريدين أن تبعدي الانتباه عنك. ويجب أن يكون هناك من يقوّمك، يا شيلي.»

فقالت: «تقومني؟ إنك تقول عني ما يبعث في نفسي الغثيان.» ورفعت يدها إلى عنقها تتلمس لآلىء العقد.

«إذا أعطاني أبي شيئاً... أعطاني شيئاً...» أرادت أن تتكلم، ولكنها ما لبثت أن أدركت أنها ستحتقر نفسها إذا هي وشت بأمها، «آه، وماذا في ذلك؟»

«يهم في أنك تجعلينه سعيداً أثناء وجودك هنا.»

«أظن أن ليس عليك أن تفسر لي شيئاً.»

وحاولت أن تبتعد، ولكنه منعها.

«إني آسف يا شيلي.» وكان الإخلاص واضحاً في صوته

«لا تبك، أرجوك. لا أستطيع رؤية عينيك الجميلتين غارقتين في الدموع.»

«فلماذا تعذبني إذن؟»

«اسكتي. لا بأس عليك.»

فهزمتها رقته. وعلمت على الفور أنها تحبه. وأنها أحبته منذ البداية. ولكن هناك أشياء لم يكن لها أن تحدث، وهي توهمها بأنه يحبها، فرغم كل عاطفتها له، كان هو يضع خططاً لحياته، وخططه تلك لم تكن تشملها.

ابتعدت عنه وقد بدا على وجهها معاناتها في سبيل تمالك نفسها، واضحة. وأخيراً تكلمت: «أظن الجواب هو أن نختصر من رؤية أحدنا الآخر قدر الإمكان، وذلك إلى أن أرحل من هذا البلد. وبهذه الطريقة سنتمكن من الحصول على السلام بيننا.»

قال: «لا أستطيع، في الواقع، أن أصدق ما يحدث عندما نكون معاً. أظن أنني كنت أعلم، حتى قبل أن ألقاك، أنك ستبعثين الفوضى في حياتي.»

شعرت شيلي بالغضب وراء كلماته هذه، فاستدارت نحو الباب وهي تقول: «لا حاجة لذلك إذا نحن بقينا متباعدين.»

الفصل السابع

مضى نهار الأحد في العمل الجاد، فقد رأت شيلي أن من الأفضل لها أن تعمل، من أن تغرق نفسها في الكآبة، هل راف ودانييلا حبيبان حقاً؟ لا يمكن هذا، فالبرهان الوحيد على ذلك هو ما قالته دانييلا. ولكن، مع هذا، فقد كان ثمة رباط قوي يجمعهما لا يمكن إنكاره. حتى معظم الذين كانوا في الحفلة، كانوا من الأقرباء الذين يجمعهم حب ووفاء لابن الأسرة المحطمة راف، وكون رغبة الجد الأخيرة هي زواج راف من دانييلا، وباعتبار حب راف الشديد لجده بيترو، فهل من الممكن ان يكون قد أقسم فعلاً على تحقيق رغبته تلك؟

يا لها من ورطة، وأخذت شيلي تتهرب من افكارها وذلك بتركيز افكارها على اللوحة التي بين يديها، كانت ترسم فاكهة وأزهاراً استوائية موضوعة على صينية نحاسية كورية الصنع في غرفة الجلوس. وقال لها أبوها: «هذه واحدة من أفضل ما رسمت، يا عزيزتي، وهذا لا يعني ان اللوحات الأخرى لم تكن جيدة. فعملك في تحسن مستمر.»

«علي ان اشكرك انت لذلك. فقد علمتني اكثر مما علمني كل اساتذتي معاً.»

فقطع مارك عمله ليلقي قبلة على رأس ابنته، ثم عاد إلى عمله في انتقاء قماش للوحته، قائلاً: «ان منزلنا من الخارج

جيد، لم أكن أعلم أن المكان القديم هو شاعري إلى هذا الحد، الفاكهة في السلة، والقيثارة والإناء الأندونيسي. انني واثق من أن بول سيؤثر عليه هذا.»

تملك شيلي رجاء في ان يكون هذا صحيحاً. «ما الذي سنجهزه لغدائهم؟ أظن أن علينا أن نبدأ بحساء ثمار الأفوكادو.»

فقال بذهن شارد: «اظن هذا حسناً.»

«ثم يتبعه السمك والسلطة، وبعد ذلك الأناناس والآيس كريم مار أيك؟»

«كل هذا جميل، يا عزيزتي. لشد ما أنا مزهو بك. انك موهوبة حقاً، ان بول لا يطل بوجهه بسهولة، ولكنه سيفعل هذه المرة.»

فقالت بمكر وهي تنظر إليه خلسة: «هل ذلك لأن اسمي هو سيتوارت؟»

فقال دون تردد: «انك ستنجحين بنفسك، لقد تعودت على هذه البيئة الاستوائية كما يتعود البط على الماء. لقد طلبت من راف أن يأتي إلى الغداء طبعاً، وفي الواقع، كل شيء جاهز.» سكت برهة وقد التمعت عيناه. «انني اتذكر أول مرة قابلت فيها راف، كان لا يزال غلاماً، ولكنه كان رجلاً بعقله واحساسه. وأدركت حينذاك، انه رجل له مستقبل غير عادي. ولم اكن أعلم، عند ذاك، انه سيأخذني معه، وهكذا حدث أنه كان موجوداً عند ظهورك إلى المجتمع. ان لديه تذوقاً ممتازاً للفن، ويجب أن تطلبي منه أن يريك رسومه الهندسية.»

أمضيا النهار معاً يرسمان. وعند المساء، بعد وجبة

خفيفة، دهشت شيلي وهي ترى أباها يتحدث في العمل، وشعرت لذلك بوخزة في اعماقها تحذرها، ولكن وجه أبيها النحيل الحبيب كان هادئاً وواقعياً.

«فلنجلس إلى المنضدة يا عزيزتي، فأنا أريد أن استعرض معك اعمالي.»

جلست شيلي شاعرة بالضيق: «لما يا أبي؟ لماذا كل هذا؟»

أجاب: «لا بد أن تعلمي ما الذي لدينا، لقد درت علي رسومي مالاً كثيراً. ولكن راف جعل مني رجلاً ثرياً. إنه هو الذي يعمل على الدوام، وليس أنا، فكل شيء يلمسه يستحيل إلى ذهب. ان المحامين الذين اتعامل معهم، كما تعلمين، ماسينغهام، موراي، هانغرفورد. وهم رجال طيبون وقدماء في العمل، وقد أودعت لديهم وصيتي، وهي موثقة من كاتب العدل ومكتملة الشهود، وقد وضعت اسم راف كمنفذ للوصية، فأنا أأتمنه حتى على حياتي وحياتك. وكونك ابنتي الوحيدة، الحبيبة، فقد تركت لك كل شيء، ما عدا عدة لوحات تركتها لراف.»

وكانت شيلي، أثناء حديثه، تحاول ان تمنع ما تشعر به من خوف وحزن، من أن يرتسم على ملامحها. «لماذا نتحدث الآن في كل هذا، يا أبي؟»

«إنه حديث طبيعي تماماً، يا عزيزتي. يجب أن تعرفي هذه الأشياء. وعندما تصبحين رسامة مشهورة، سيكون عليك ان تتخذي مدير أعمال تثقين به، شخص يزيد من ثروتك. ان لديك عقلاً راجحاً، وقد يدفعك إلى أخذ دروس في إدارة الأعمال يوماً ما، وإدراكك انك

ستكونين غنية يوماً ما، لن يعكر عليك صفو حياتك. انك مثلي، غير مادية، ولكن من الأفضل لك أن تعلمي أنني سأتركك مكتفية مادياً. ويكفي أنني لم اتمكن من تأدية واجب الأبوة نحوك.»

شعرت شيلي بالحب لأبيها يتضاعف في نفسها. «لا تقل هذا، يا أبي. فقد احببتك على الدوام.»

فخفض مارك رأسه بتواضع: «اعلم ذلك، يا ابنتي. وهذه الأيام هي اسعد ايام حياتي.»

هتفت في اعماقها وقد برح بها العذاب: «لا تتركني، يا أبي.» ولكن لم يظهر على وجهه سوى ابتسامة حانية.

• • •

في الصباح التالي، أخذت شيلي تجول في الغرف كأميرة تتفقد إمارتها. كان كل شيء كاملاً. الأزهار تملأ المنزل، والأثاث ملمعاً. وفي الشرفة وضع مارك خواناً خشبياً غطته هي بغطاء جميل جداً.

قال مارك: «ما أجمل هذا الخيال، يا عزيزتي، وهو مناسب تماماً لمائدة خارج الدار. من أين حصلت على هذه المنحوتات؟»

لمست شيلي واحداً من تلك المنحوتات الصغيرة الدقيقة، كانت قد وضعت امام كل كرسي واحداً منها، وقالت: «من أحد صناديقك، ان لديك الكثير منها، هنا.»

فابتسم قائلاً: «لقد تذكرت الآن، إنها من الفيليبين، لديهم هناك كثير من الفنانين.»

فقالت: «نعم، متى قال راف انهم سيكونون هنا؟»

قال بسرور: «حوالي الحادية عشرة، وهذا يدع لنا وقتاً نتحدث فيه.»

وعند الحادية عشرة بالضبط، توقفت سيارة راف امام الباب، ونزلت شيلي وأبوها السلم للترحيب بالضيوف.

قالت ماريزا بحرارة: «كم تبدين جميلة، يا شيلي؟»

قال راف بلهجة متراخية: «انها وردة صفراء متألقة.»

وقال بول جمايسون وهو يجيل في المنزل عينين ناقدتين: «يا لهذا المنزل القديم ما أجمله. ومن العجيب انك لم ترسمين.»

فقال مارك باسماً: «ولكن شيلي قامت بذلك، لقد وضعنا اللوحات في المرسم، ولكن تعالوا قبل ذلك نتناول شيئاً من الشاي المثلج. وسنجلس قليلاً قبل التفرج على لوحات شيلي، ثم أنها قد أعدت غداءً رائعاً، ليس هناك من له مثل مواهب ابنتي.»

كلا في الواقع، ورمقها راف بنظرة اخترقت قلبها كالرمح. نظرة ساخرة تنطق برباطة الجأش والثقة بالنفس. جلسوا في الشرفة الباردة، وتناول الحديث موضوعات عديدة. ومع أن شيلي كانت محتفظة بهدوئها ظاهراً، إلا انها كانت تغلي من الداخل، ولم يكن بول جمايسون متعاملاً اقليمياً ضيق الأفق. فقد كان سمساراً معتبراً ذا وكالة عالمية في مجال الفنون. ومن المؤكد انها ما زالت غير مستعدة بعد. ولكن أباها كان يتحدث بكل ثقة. هل من الممكن أن يكون الآباء المحبون عاطفيين إلى هذا الحد؟ كانت المرة الأولى التي يرى فيها راف عملها. ولديها برهان ساطع على ذكائه. فهل سيصنفها من الدرجة الثانية؟

وفكرت في اقوال الناقدين الفنيين لفنها في اوكلاند، لقد كانوا اسخياء نحوها وساندوها كثيراً، وتوقعوا لها مستقبلاً لامعاً، كانت احياناً تفكر في أن لديها موهبة حقيقية، ولكن بجانب أعمال أبيها، ادركت كم عليها أن تجاهد في سبيل الوصول إلى الكمال.

انهما رسما نفس البيئة. ولديهما نفس الحيوية والنشاط، ولكن شيلي كانت تعلم أن ما ينقصها هو طاقة أبيها التي لا تنضب، عندما نزلوا إلى المرسم، اتكأت شيلي على الجدار الخلفي بينما مشى بول وماريزا وراف ببطء يفحصان كل لوحة، أدار مارك رأسه إليها باسماً وقد بدت عليه الثقة في حكمه الخاص على عملها، ولكن شيلي لم تستطع أن تريح اعصابها، وأخيراً، مشى بول إليها وقد ارتسمت على ملامحه بعض الشكوك. «يا عزيزتي، لقد قال أبوك انك جيدة، ولكن بطبيعة الحال، لا بد أن يضع الشخص في الاعتبار عاطفة الأب. هنالك لوحتان على الأقل بين هذه المجموعة هي رائعة. الفاكهة والأزهار على صينية، وصورة البيت، أما اللوحات الأخرى، بالنسبة إلى رسامة في سنك، فتنبىء بمستقبل باهر، يجب ان تتركيني أفكر كثيراً بهذه، فليس لدي فكرة في الحقيقة.»

ضحك مارك. «هذا لا ينبىء الكثير عن قدرتي في النقد.»

تردد بول بأسف: «ان لديك قدرة عجيبة على النقد يامارك. ولكن ربما حبك لابنتك قد جعلك تضيف علامة أو اثنتين.»

قال راف بجفاء: «حسناً، انك تعلم أن هذا لم يحدث.»

كما أن ماريزا بدا عليها الذهول قليلاً هي أيضاً، ولكنها هنأت شيلي بحرارة. «إنها جميلة، يا عزيزتي. انني تجاوبت معها بسرعة.»

مد راف يده مهنئاً، وهو يقول: «تهانيّ يا شيلي، انني اعلم ان بإمكان بول ان يبيع كل هذه اللوحات بسهولة، ولكن هناك واحدة أريد ان اشتريها بنفسي لتذكرني بهذا اليوم وكيف كان مظهرك، وهي الورود الصفراء في السلة.»

فهتف مارك مسروراً: «احسنت، لا أدري لماذا لم تخص تلك اللوحة بالذكر، يا بول. ان ورود شيلي هي فائقة الإتقان، انها تسبح في الضوء! انها في الواقع اغنى لوحاتها. ثق براف.»

عاد بول، إلى تفحص تلك اللوحة مرة أخرى: «انني موافق تماماً، ولكن صورة المنزل ما زالت هي المفضلة لدي.»

قالت شيلي وهي تنظر في عيني راف مباشرة: «إنني أحب ان اعطيك اللوحة، يا راف.»

قالت ماريزا ضاحكة: «شيلي، لا يمكنك أن تهبي لوحاتك.»

كان صوت شيلي واضحاً، ولكن حازماً بشكل مدهش وهي تقول: «انا اريد راف ان يأخذ شيئاً مني يكون لديه على الدوام.»

قال مارك يؤيدها وقد بدا عليه التأثر: «اسمع، اسمع.»

قال راف لها باسماً: «إذن، فساحتفظ بها على الدوام.»

ذلك أنه رغم علاقتهما العاصفة هذه، كان يجد فيها شيئاً يستدعي اعجابه.

كان العشاء رائعاً، فكل واحد منهم، حتى مارك، كان جائعاً. وتسربت نسائم المساء تخفف من حرارة الجو، لقد ضحكوا جميعاً، وتطرق بهم الحديث إلى مقترحات مبدئية بالنسبة للمعرض المشترك الذي يضم اعمال مارك وابنته شيلي، وربما في أوائل السنة القادمة. ترددت شيلي ولكن مارك أبدى سروراً صادقاً لهذه الفكرة.

قال بول بصوته الرقيق: «دعوا هذا الأمر لي لكي افكر ملياً في ما ينبغي صنعه، ذلك أنه لا يحدث دائماً ان يضم معرض أباً وابنته.»

أضاف راف: «من ذلك المستوى.»

بعد رحيل الضيوف، استطاعت شيلي التقاط انفاسها. لقد كانت تظن ان حصولها على التقدير سيأخذ منها سنوات كثيرة، وها هي ذي الآن، كما يبدو، قد وضعت قدمها على أول درجات السلم. كما سبق وقام راف بدور خطير حاسم في اكتشاف أبيها، فهو الآن دون شك قد وضعها على بداية الطريق، كان هذا يوماً للذكرى قد أنار قلبها.

عندما كانت شيلي، تلك الليلة، تتمنى لوالدها ليلة سعيدة قبل النوم، نظر في أعماق عينيها ثم سألها: «انك تهتمين براف، أليس كذلك؟»

لم تستطع إلا أن تجيبه بصدق: «نعم، يا أبي، لكنني لا افهمه. إن راف رجل بالغ التعقيد.»

لم يحاول مارك انكار ذلك. «لكنه افضل رجل عرفته، فهو ذو قيم عالية وعطوف. وشديد العناية بالآخرين. وهو

طموح أيضاً وذو طاقة زائدة، انني اعلم أنه احياناً، يكون عنيفاً جداً، ولكن هذا من مزاياه، وهذا ما يجعله كما هو الآن. بالغ الثراء، ولكنه محسن كبير مثل جده. ولديه نفس الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، فهو يسعى دوماً لخدمة المجتمع، اسألي المستشفى، فقد كان بمثابة ابن لي.»

جلست شيلي على مقعد منخفض، وهي تقول بحزن: «أبي، انك تحاول ان تتوسط بيني وبين راف.»

قال: «وماذا لو فعلت؟»

«ألا تعلم أن دانييلا تحبه؟»

بدا الإضطراب على ملامح مارك لفترة خاطفة: «يا ابنتي، لا يمكنني ان احصي عدد الفتيات اللاتي وقعن في غرام راف، عليك ان تعترفي بأنه ليس رجلاً عادياً.»

قالت: «إنني جادة في كلامي، يا أبي، لقد اخبرتني دانييلا في الحفلة انها وراف سيتزوجان. قالت ان الأسرة باجمعها تتوقع ذلك. لأن هذه كانت أمنية جد راف على الدوام.»

قال مارك بارتياب: «انني واثق من أن دانييلا لفقت هذه الحكاية، ان لديها، كما أرى، قدرة على التمثيل. لا أحد ينكر أنه يكن لها مودة كبيرة، فهو يعرفها طوال حياتها. وهي تزوره دوماً. ولكن تصرفاته نحوها بعيدة عن تصرفات المحبين. فهو يعامل كارلا وبقية أبناء خالاته بنفس الطريقة.»

كان هذا، كما رأت شيلي، صحيحاً تماماً. ومع ذلك... عادت تقول: «ان دانييلا تقول إن موقفه منها قد تغير مع الوقت، قالت انه يحبها.»

www.elromancia.com

هز رأسه قائلاً: «وهل صدمك هذا؟»

«إلى درجة غير محدودة.»

فشعر مارك بما يعتمر في نفس ابنته من وحشة وألم، فقال: «أرى أن ليس هناك علاقة وطيدة بينهما أبداً، ان لدي احساساً بأن دانييلا تقول أي شيء يناسبها، فإذا كان راف يوليها ذلك النوع من الاهتمام، لكان ظهر هذا واضحاً.»

حك مارك ذقنه وهو يتابع: «ما كان لك أن تعتبري كلام دانييلا صادقاً، من الممكن جداً انها لفقت هذا كله.» وكانت كلمات مارك تشتد قوة. ولكن لمارك أيضاً ما يحلم به.

* * *

اتصل راف هاتفياً في الصباح التالي ليخبرهما بأنه عقد اجتماعاً مع مسؤولين في قسم البيئة. «سأزورك بعد ذلك لاعلمك بما سيجد في الأمر، لقد دهشوا كما دهشنا نحن عندما علموا بمسألة الفراشات، وقد ذهب واحد منهم لمعاينة الجزيرة.»

اخبرت شيلي أباها، بعد تردد بسيط، عن موعدها مع جيف. فسألها بفضول: «وما الذي يريده؟»

تنهدت قائلة: «ثمة بعض المشكلات.»

«وكيف ستساعدينه؟ لا أريد أن يورطك جيف في أي من مشكلاته، إذ لا يكاد يمضي يوم دون أن اسمع قصة عن جيف. لقد كان راف طلب منه أن يتجنب ذلك الشخص المسمى هاريس. ومع هذا فقد اخبرني تيد ما سينغهام بأنه رأى الرجلين معاً في نفس اليوم الذي حذره راف منه. الآن، وقد

ظهر أمر هذه الفراشات في الجزيرة، فليس صدفة ان يطلب جيف الحديث معك حول بعض المشكلات فهو لا يستطيع التكلم معي كما ان ليس بإمكانه التكلم مع راف. فإن من خصال امثال جيف ان يختبئوا وراء النساء.»

«ربما يريد أن يتحدث إلي عن كارلا. فهو مازال يحبها، كما تعلم.»

جاهد مارك في ألا يبدي الغضب وهو يقول: «كما أن المسكينة كارلا مازالت تحبه. لا أدري اذا كان هذا مبعث سرور. إن جيف لا يتردد في القيام بأشياء تسبب الإزعاج لراف. والأسوأ من هذا هو أنه قد يندم على ذلك في اليوم التالي.»

قالت تخفف عنه الأمر: «انه فنجان قهوة فقط يا أبي، فأنا سأدع جيف يتكلم، فإذا كانت هناك طريقة يمكنني مساعدته فيها، فسأفعل. ذلك انه لم يكن لدي ما اقوله لكارلا في الحفلة تلك الليلة، ولكنني لاحظت انها مازالت تهتم بجيف، وقد صممنا على تناول الغداء معاً يوماً ما، ربما يريدني جيف ان اتكلم معها بشأنه.»

وقف مارك قائلاً: «دعيه يواجه أموره الخاصة بنفسه، اتريدينني ان آتي معك؟»

قالت بعد تأمل: «من الأفضل ألا تأتي، يا أبي، انني متأكدة تقريباً من أن جيف سيشكو من شيء ما. ومن يدري، ربما سيخبرني بشيء يريد ان نعرفه.»

«كأنه يريد ان يستغلك في الوصول إلى شيء ما، هكذا كانت أساليبه في الماضي.»

أدركت شيلي أن أباها قلق مهموم لأجلها، فقالت: «يجب

ألا نقفز إلى الاستنتاجات، يا أبي، اعدك بأن اترك المكان حالما يبدأ جيف في الكلام عن أي شيء مزعج.»

قال ينصحها: «أوقفي سيارتك امام باب المقهى.»

* * *

نهض جيف من امام مائدته يلوح إليها بيده حالما دخلت إلى ذلك المقهى الإيطالي الطراز. وقال بصوت ينطق بالصدق: «اشكرك لحضورك، ما أروع مظهرك انك تديرين رؤوس الناظرين، ماذا تريدين ان تشربي؟»

طلبت شيلي قهوة إيطالية وبعض شطائر الدجاج والأفوكادو ثم جلست تنظر في أنحاء المقهى مسرورة، كان هناك حديقة خلفية. وكانت جميلة بالنافورة التي تقوم في وسطها هذا إلى نباتات كثيرة مدلاة فوق الرؤوس من اصص خشبية، وكان معظم الجالسين في ذلك المقهى من المواطنين، إلى بعض السائحين الذين يزورون اماكن الجمال في المنطقة.

قال جيف: «آسف لكوني لم أكن واضحاً معك في تلك الليلة. لا يستطيع المرء ان يتحدث اثناء حفلة.»

سألته مباشرة: «ماذا عندك لتقوله لي، يا جيف؟»

«لا أدري كيف اقول هذا دون أن يبدو الأمر سيئاً، ماذا قال أبوك عن حضورك إلى هنا؟»

«لكي أراك؟»

أجاب بضحكة ملتوية: «نعم، هل سألك عن سبب رغبتي في رؤيتك؟»

شعرت شيلي بالقلق يغلف كلماته هذه، فقالت: «لقد فعل

هذا، في الواقع، فقد أدرك أن الأمر ليس مجرد تناول فنجان قهوة.»

سألها بهدوء: «وماذا قلت له أنت؟»

هزت كتفيها: «لا شيء، ذلك لأن ليس هناك ما يقال. ماذا هناك يا جيف؟ هل ستسمعني شيئاً؟»

ابتدأ يقول بشكل مفاجيء: «هل سبق لك أن سمعت عن ذلك الرجل، هاريس؟ كان في سبيل شراء قطعة أرض قريبة من هنا، ومرة أو اثنتين قدمت له معلومات دفع لي ثمنها بسخاء، واظن أنه كان يستميلني إليه ليعلقني كسمكة في صنارته. ولا حاجة بي إلى القول إنه كان قد سمع أن هنا في الجنوب مجالاً للثراء إذ أن شمال كونيلاند مكان تزدهر فيه السياحة، وهكذا صمم على المجيء إلى هنا، ان لديه فكرة عن نفسه بأنه ذو حذق ودهاء، ولكنه لم يحسب حساباً لراف وللطريقة التي تسير عليها هذه المدينة، كان لديه فكرة هي أنه سيتعامل مع اناس سذج، راف ساذج! هل يمكنك أن تتصوري ذلك؟ على كل حال، بينما كانت الأبواب تقفل في وجهه، الواحد بعد الآخر، كان راف يكسب الأموال الكثيرة، آه لو تعلمين مبلغ الحسد الذي كان يشعر به هاريس نحو راف... ان ما اشعر انا به ليس شيئاً مذكوراً، لقد استأجر قارباً لكي يستمر في مراقبة جزيرة الاحلام. ولكنني لم اظن مطلقاً أنه سيكون من الحماقة بحيث ينزل من القارب هناك، فالجزيرة مخفورة جيداً، كما لا شك تعلمين.»

«هل افهم من هذا انك تحدثت عن هذا معه، يا جيف؟»

وأخذت تراقب التفاعلات التي بدت على ملامحه، كان

واضحاً أنه يريد أن يعطي انطباعاً بأن هاريس هو رجل سيء وأنه هو الضحية الساذجة.

اعترف قائلاً: «اعتدنا ان نتقابل من وقت لآخر. وهذه هي المشكلة، ذلك أن المرء، إذا هو تمادى في جلسته، لا يعود يدرك ما يقول. لقد كنت سمعت أن تفتيشاً سيقام في الجزيرة، إنه شيء يتعلق بدراسة البيئة.»

قالت شيلي تستحثه وهي تتفرس فيه بإمعان دون أن تشير ملامحها إلى شيء. «نعم؟»

سألها: «هل سمعت شيئاً عن ذلك؟»

قالت وهي تهز رأسها: «كلا.»

«ولكن لا بد أن أباك يعلم، فهو شريك فيها.»

قالت له بهدوء: «ولماذا لا تسأله؟ ثم لماذا لا تتحدث في هذا الأمر إلى راف؟»

قال باقتضاب: «هذا مستحيل، ذلك أن لدي شعوراً مفزعاً وهو أنني متورط، بشكل ما، في هذا الأمر ليس بشكل مباشر، بالطبع ولكن ربما بسبب شيء كنت قلته.» ومد يده دون هدف، على المائدة.

«هل نقودك على وشك النفاد، يا جيف؟»

«كلا، كلا، هذا شيء كان في الماضي.»

«إذن فليس لك أن تلوم الآخرين، لا استطيع، في الواقع، مساعدتك في هذا الأمر، حتى انني لا أدري ما الذي تتحدث عنه...»

قاطعها قائلاً: «هل أنت واثقة مما تقولين؟» وبدا عليه وكأنه وقع في مأزق.

«هذه ليست مسؤوليتي، يا جيف، ان النصيحة الوحيدة

التي يمكنني أن اقدمها اليك هي ان تتحلى بالشجاعة ثم تتحدث إلى راف.»

«كلا يا شيلي، هذا يخيفني.»

«انني واثقة من أن بإمكانك أن تقوم بذلك، يا جيف، إنه افضل وأسهل شيء عليك. وفي الواقع، هو الشيء الوحيد الذي عليك القيام به.»

قال: «اظن معك حق، إنك فتاة طيبة، أليس كذلك؟»

ابتسمت له: «لا أظن أن حياتك كانت سهلة، يا جيف، ولكن عليك أن ترتاح من هذه المنافسة مع راف، من الأفضل لك كثيراً ان تثق بنفسك وتحاول العثور على العمل الملائم لك، لا يمكنك أن تلوم راف لفشلك، كما لا يمكنك أيضاً أن تلومه لنجاحه. وأنا أعلم بانك من النزاهة بحيث تدرك ذلك.»

قال وهو يتأوه: «انه الكبرياء، يا شيلي، الكبرياء الزائف ان كلامك صحيح تماماً، لقد كان راف صديقاً مخلصاً لي، ولكنني لم ابادله اخلاصه ذاك.»

«ان لهجتك تنبىء بأن بامكانك ان تساعده الآن، في هذه الساعة. فإذا كان سيقام تفتيش عن البيئة، كما تقول، فهذا سيوقف العمل في البناء.»

«ان هذا سيفسد الأمور كثيراً، انني لم اخرج من هذه المشكلة إلا وأنا ملوث بالوحول.» وبدا أن كل شجاعته قد اختفت.

أصرت عليه شيلي قائلة: «عدني بانك ستتحدث إلى راف.»

فقال: «سافعل.» وفاجأها بابتسامة عذبة. «ان قهوتك

بردت.» ونظر حوله يبحث عن النادل وإذا به يجمد في مكانه وكأنه متآمر قد بوغت فجأة، كان راف ودانييلا وكارلا واقفين عند الصندوق في انتظار أن يدفع راف الحساب، وحيث أن امامهم ثلاثة زبائن، فلا بد انهم كانوا واقفين هناك منذ فترة، وبدت الحيرة التامة على جيف: «تباً لهذا، لا بد أنهم كانوا في الحديقة.»

ادارت شيلي رأسها لتتبع نظراته وهي تسأل: «من؟» فرأت دانييلا وكارلا، والاثنتان صغيرتا الحجم، واقفتين إلى جانب راف الذي كان واقفاً ملقياً برأسه إلى الخلف كحصان ممتلىء عنفواناً، وقد نطقت نظراته بالتعنيف.

همس جيف بصوت أجش: «لا يبدو السرور على راف لرؤيتنا معاً.»

تمتمت تجيبه: «كلا، ولا كارلا، ولكن دانييلا تبدو مسرورة جداً.»

فقال: «ما أغرب هذا، ففي الوقت الذي استجمعت فيه شجاعتي لمقابلة راف، ها هوذا يبدو وكأنه يريد خنقنا.»

قالت تشجعه: «انها عيناه فقط، هكذا تبدوان عندما يقع الضوء عليهما، لا تدعه يؤثر عليك، يا جيف، فأنت رجل ويجب ان تتصرف كالرجال.»

«كنت مستعداً للعمل إلى أن رفعت بصري، يا للمسكينة كارلا، ان رؤيتها لنا معاً قد اتعستها.» وتقلص وجه جيف وهو يقول ذلك.

قالت شيلي تشجعه: «هذا شيء آخر، يا جيف، لماذا

تقود كارلا إلى حياة تعسة؟ اظنك تحبها، ويبدو في وجهها أنها ما زالت تحبك، ومن العجب انكما لم تتصالحا بعد.»

«لكي يتحقق هذا، يا شيلي، علي ان اغير اسلوب حياتي.» وبدا عليه وكأنه سيقفز هارباً.

«إنه هاريس، أليس كذلك؟ أتراه يمسكك بشيء؟»

قال متوسلاً: «لا تسأليني الآن، يا شيلي، انهم قادمون باتجاهنا، اسمعي، هل تمانعين في أن اذهب؟ لا أتحمل أية مواجهة مع راف الآن.» وأخرج من جيبه ورقة بعشرين دولاراً ووضعها على المائدة. «انني جداً جداً آسف، اظن أن شجاعتي ستفارقني.»

هزت رأسها وقبضت على يده قائلة: «انني ساطالبك بوعدك.»

«آه، نعم، تباً لذلك يا شيلي، فنحن نتصرف وكأننا حبيبان ويد كل منا بيد الآخر.»

«إنني دوماً أؤمن بصداقة المرأة للرجل، وأنا أضع ثقتي بك، يا جيف، وكارلا تثق بك، هي أيضاً، رغم وجهها الحزين ذاك. فما رأيك؟»

قال بحزم: «ساتحدث إلى راف. ولكن لا بد لي من القول إنني قلق.»

أجابت ببساطة: «إذن، ربما انت تستحق أن تكون كذلك، يا جيف، ذلك أنه ليس بإمكان الكثيرين الحصول على شيء، مهما كان تافهاً، بدون مقابل.»

وفي الوقت الذي وصل فيه راف والفتاتان إلى مائدتهما، كان جيف قد تمالك شجاعته، فوقف يمنح كل

واحد منهم ابتسامة عريضة جذابة. «مرحبا، يا لها من مفاجأة.»

قالت دانييلا تخاطب شيلي وقد التمعت عيناها حقداً: «ما هذا الذي تفعلينه يا شيلي؟»

أجابت شيلي: «اتعنين انه غير مسموح لي بتناول فنجان قهوة؟» وانتقلت عيناها إلى كارلا ثم ابتسمت. «ما أجمل ان اراك مرة أخرى، يا كارلا، انني منتظرة بفارغ الصبر موعدنا للغداء معاً، مرحباً، يا راف.»

قال بلطف: «لو كنت اعلم انك قادمة إلى المدينة لاحضرتك معي، ان مارك لم يذكر ذلك.»

«لا بد ان ذلك غاب عن ذهنه.»

قال له جيف بلهجة محمومة: «كنت أحاول الاتصال بك، يا راف هل لنا أن نتبادل الحديث في وقت ما؟»

هز راف رأسه: «ليس اليوم، يا جيف، ان لدي اجتماعات منتظمة من الآن فصاعداً، ربما غداً.»

أشرق وجه جيف: «هذا حسن حسن جداً. أنا نفسي ليس لدي وقت كافٍ. وفي الواقع...» ونظر إلى ساعته. «ان لدي اجتماعاً مع أحد الأشخاص.»

نظر إلى شيلي قائلاً: «اشكرك لنصيحتك.»

قالت شيلي: «اهلاً بك في أي وقت، يا جيف.» ولحظت أن كارلا تحدق فيها بحيرة. وفكرت في أن من السهولة ان يسرع المرء باستنتاج الأشياء، على كل حال، لم يكن باليد حيلة، فقد تملكها شعور قوي بأن جيف بحاجة إلى مساعدة، فهي نفسها كانت طفلة في بيت محطم، ولكنها لم تعرف قط نوع التعاسة التي عانى منها جيف.

ذهب جيف بعد أن ربت على كتف كارلا، وكذلك الفتاتان اللتان كانتا أمضتا النهار في بيت كارلا، ذهبتا أيضاً. وبقيت شيلي وحدها مع راف.

سألها: «لما كل هذا؟»

أجابت بعينين تلتمعان: «وهل يجب علي أن أخبرك؟»

«لم استطع أن اصدق ما كنت أراه، لقد وصل بكما الأمر إلى حد ظننت انك ستقبلينه.»

«هل كان ذلك قبل أم بعد أن أمسك جيف بيدي؟»

«انك لعوب، وها إن جيف يعتقد الآن أنه غارق في حبك حتى الجنون.»

قالت شيلي وهي تفتش في حقيبة يدها وكأنها اضاعت شيئاً. «ان لجيف ذوقاً حسناً.» وأخيراً وجدت مفاتيح سيارتها. كانت قد نوت أن تجول بين المتاجر، ولكنها عادت الآن فقررت العودة رأساً إلى البيت، ان العالم نفسه مكان صغير فكيف بمدينة السكر في مارينت؟

قال لها بخشونة: «سأسير معك إلى سيارتك.»

«هذا شرف كبير لي، ولكن لا بد ان عندك موعداً مستعجلاً.»

قال وقد احتد صوته: «انك مليئة بالمفاجآت، أليس كذلك؟»

«كم كنت أتمنى لو انك لا تُصدم بسرعة، أما بالنسبة إلى دانييلا، فيالوقاحتها. (ما هذا الذي تفعلينه، يا شيلي؟).» وكان تقليدها للكنة دانييلا الإيطالية مضبوطة تماماً، ولكنه لم يبتسم.

«انها لم تسألك سوى عما أريد أن اعرفه انا نفسي.»

«وهل شعرت بالغيرة؟»

قال يوبخها بعنف: «إن كارلا هي التي كانت غيوراً.» وأثناء سيرهما، كان المارة يحيونه مبتسمين وكأنه ملك يجول في الأنحاء. كل ذلك لأجل راف بالطبع، فلا عجب ان كان بهذه الغطرسة.

أجابته: «ليس بها حاجة للغيرة.»

قال بصوت حاد: «يسرني سماع هذا. ولكنني لا أدري إن كان بإمكاني تصديق كلمة مما تقولين، ان لدى جيف كثيراً من المشكلات عليه أن يحلها. وربما من الأفضل أن تتركيه وحده.»

رفعت بصرها إليه تحملق به: «اتعني أن ليس بإمكاني تناول فنجان قهوة معه؟»

قال بقسوة: «إن أي خطأ آخر يقترفه، سيدمره، انك لا تعرفين جيف كما أعرفه، يا شيلي، إنني لا أريد أن امنعك من اتخاذ اصدقاء، ولكن لدى جيف ميل إلى الاختلاط بالأشخاص سيء السمعة.»

«هل تصنفني من تلك الفئة؟» تفوهت بهذه الجملة وقد بان عليها أنها جرحت.

«سامحيني، ولكن الأمر لم يكن يبدو بذلك الشكل، انك بحاجة إلى زوج قبل أي شيء آخر. إلى زوج يشغلك على الدوام حتى لا يبقى لديك وقت لشيء آخر.»

«اتراك تعرض نفسك علي هنا؟»

«أريد أن اعترف بأنني أحب ان اراك تحت وصايتي.»

قالت بصوت أكثر هدوءاً: «ليس لدي شعور نحو جيف من ذلك النوع، وأنا أعني هذا. ان ما اسأتم تفسيره، انت وبنات خالتك هي يد الصداقة.»

أطلق ضحكة قصيرة خشنة: «عندما تمسك امرأة مثلك بيد رجل، فكل افكار الصداقة تهرب من النافذة، لقد رأيتكما بعيني الاثنتين. وكارلا ودانييلا رأتكما هما أيضاً. ان كل ما أريده هو تحذيرك. ان لدي من الأسباب ما يجعلني اعتقد بأن جيف هو مشترك، بشكل ما، في مسألة الفراشات في الجزيرة، ولا أدري كيف خطر له أن بإمكانه أن يفلت من نتيجة عمله هذا، لقد حاولت مد يد الصداقة إليه، ولكنني لم أنجح في ذلك، فلنرى الآن كيف سيكون حظه معي كعدو.»

كان للذعر الذي احدثه في نفسها، كلماته والتعبير الذي بدا على ملامحه، ان دفعها إلى التصرف بشجاعة، فوضعت يدها على ذراعه بضراعة. «أرجوك يا راف. ألست مبالغاً في شعورك هذا؟»

ألقى بيدها عنه بغضب وهو يسألها غير مصدق: «انك تريدين التوسل لأجله، ليس هنالك شك في ذلك. فالرجال ذو المشاكل امثال جيف لا يجدون صعوبة في اكتساب عطف النساء. تباً لذلك يا شيلي، أين وفاؤك؟ انني اعرف رغبتك في ان تتحديني، ولكن ماذا بالنسبة إلى أبيك؟ انه مساهم في هذا الأمر، وهو لن يعجبه ما تفعلينه أبداً.»

تلاشت الضراعة من ملامح شيلي، وتطاير الشرر من عينيها الناعمتين: «عليك ان تدع أبي خارج هذا الموضوع، هل تسمع؟ هيا، استمر في ادانتي، انك ماهر في هذا، على الأقل.»

أجاب باشمئزاز عميق: «اشكرك كثيراً.»

استفز هذا شيلي، فصرخت تقول: «ولما لا؟ انك طاغية

www.elromancia.com

مستبد. وكل ذلك الاحترام والدلال الذي عشت فيه طفولتك، قد صعد إلى رأسك. وها هو ذا جيف نتيجة لهذا.»

فتمتم غاضباً: «جيف؟ اتقولين جيف؟»

«نعم، جيف وحياته التعسة، ولهذا يفسد الأمور من وقت لآخر. وهكذا نحن جميعاً، عداك انت ذي المجد، فأنت خالٍ من أي عيب، لا يوجد مثلك أحد. حسناً، ان جيف المسكين يريد أن يتحدث إليك. وهذه هي فرصتك للاستماع إليه. وأنا لا أدري ما الذي يريد أن يحدثك بشأنه ولا يهمني ذلك، كما أنني لا اهتم لشعورك انت خاصة. فوجودك قريباً مني هو تعاسة ما بعدها تعاسة.»

وقال بسخرية مهينة: «اقنعيني، هيا يا شيلي. اقنعيني بكل هذه الأمور التعسة.»

أخذت تبتعد عنه. ووصلت إلى سيارتها، ففتحتها ثم انسابت إلى داخلها وراء عجلة القيادة، فقال لها بصوت بارد: «ينبغي ألا تقودي السيارة وأنت مضطربة الذهن.»

كان عليها أن تتجاهله، ولكنها، بدلاً من ذلك، ردت عليه بحدة: «هل لك إذن ألا تقف امام السيارة؟» ولم تتدفق دموع شيلي إلا بعد ان اصبحت في الطريق العام.

لم يكن جيف غانت يعني لها شيئاً. ومع هذا فقد كان سبباً في مثل هذا الشجار بينها وبين راف، ان لدى راف الحق كله في أن يغضب منه. فتورط جيف في ذلك الموقف في الجزيرة، سواء بوعي منه أم بدون وعي، كان نتيجة الحسد. ومع ذلك، فقد هبت للدفاع عن جيف كنمرة تدافع عن صغارها. انها حقاً بحاجة إلى إجراء فحص لعقلها.

حتى ان لديها صورة كاملة لما يبدوا به، هي وهو، امام الآخرين، انهما صديقان بالتأكيد. وربما اكثر، لقد كان معروفاً عنها دوماً انها تجري خلف القصص المحزنة، وغمرتها موجة من الخزي، وقررت ان تقف بسيارتها جانباً فترة من الوقت.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

في المساء التالي، تلقى مارك مكالمة هاتفية من راف، وعندما عاد إلى غرفة الجلوس، كان القلق مرتسماً على وجهه.

«إنه راف. لقد جرى بينه وبين جيف ذلك الحديث، ولكنه أسوأ مما تصورت أنت.»

غاص قلب شيلي وهي تقول: «كان عليّ أن أعلم ذلك.» لقد كانت أخبرت أباها كل شيء عن اجتماعها بجيف، ولكنها، بطبيعة الحال، تجنبت ذكر مواجهتها مع راف.

غاص مارك في مقعده الكبير وهو يئن. كان يبدو أكثر ضعفاً من العادة ولكنه كان يصر على أنه بحالة ممتازة.

«لم يأت جيف فقط بفكرة إعاقة تقدم العمل في الجزيرة وذلك بسبب قضية البيئة، ولكنه هو الذي اقترح جلب الفراشات. ولا أعلم بما كانت نيته وما إذا كان يعتبر أن ذلك كله ليس سوى مزحة كبيرة كما يدعي. ففي آخر رحلة له إلى الرأس البحري، يبدو أنه ذهب لمقابلة ذلك العالم، غانتر، الذي أخذ يتحدث بحماس عن نوع جديد من الفراشات كان قد اكتشفها لتوّه. ولم يبد جيف اهتماماً كبيراً في ذلك الحين، فهنأ غانتر ثم نسي الأمر. فراشات؟ وما أهميتها؟ إلى أن قابل هاريس، فتذكر أمرها. وكما فهمت، كان هاريس يدفع له بسخاء للمعلومات الداخلية. واعتبر جيف أن لا ضرر من ذلك.»

تمتمت شيلي بضيق وقد انتابها الذعر من الآتي: «آه، يا أبي.»

«إنه شيء محزن. أعلم ذلك. ولما ذكر هاريس أنه يريد أن يقوم بما يأخر أعمال الجزيرة، تذكر جيف الفراشات. ولم يكن في وعيه الكامل في ذلك الحين. ولكن يبدو أن هاريس أخذ الأمر على محمل الجدّ. إن جيف يؤكد أن تورطه هو قد وقف عند هذا الحدّ. وقد أخبر راف بأنه ندم على ما قاله حالما عاد إلى وعيه. على كل حال، مضت شهور لم يحدث أثناءها شيء. وقد غاب هاريس فترة، وعند عودته بقي على نفس علاقته مع جيف. كان هذا إلى أن سمع جيف عن التفتيش الذي سيقوم به المسؤولون عن دراسة البيئة، عند ذلك أخذ القلق يتملكه حقاً. فذهب إلى هاريس يتملكه اعتقاد سخيف بأن لا علاقة لهذا الأمر. ولكن هاريس لم يكتم عنه أنه دفع للعالم غانتر مبلغاً كبيراً مقابل بعض فراشاته. وهكذا، هو والعالم، أطلقا الفراشات في الجزيرة. وطبعاً، كان غانتر يعلم كل شيء عن زهور اللانتانا. ولم يتملك هاريس القلق من أن يفشي جيف السرّ. ذلك أن جيف كان هو الذي عرض الخطة. وبإمكان غانتر ان يقم على ذلك، هو ايضاً وقال جيف إنه لم يستطع أن يفعل شيئاً. فقد وقع في الفخ.»

«هل تصدقه يا أبي؟»

«هل أصدقه؟ لا أدري في الواقع.»

«وهل يصدقه راف؟»

عبس وهو يلوي شفتيه قائلاً: «إن راف غاضب. لقد كان جيف يظن أن ليس عليه سوى أن يخبر راف بالأمر، فيستوي الحال، ولكن راف مصرّ على أن يتقدم جيف

باعترافه هذا إلى المسؤولين. ولكن أسوأ ما كان جيف يتوقعه هو محاضرة قاسية، فهو لا يريد أن تتدمر مصداقيته بين الناس. فهو لا يتصور أن صبر الناس عليه قد نفذ. إن راف ليس لديه أدنى شك في أن براءتنا جميعاً ستظهر، ولكن الأمر سيكلفنا كثيراً. إن جيف يقول إن غانتر قد رحل بعيداً. لم يره أحد منذ فترة. فهو في أتم راحة في الغابة الماطرة حيث يمكنه أن يقتات على الأعشاب، ولا أدري إذا كان لدى أحد الوقت أو الطاقة للتفتيش عنه.»

فسألته شيلي: «ألا تكفي كلمة جيف في القضية؟»

«لا أحد يعلم.»

قالت: «ولكنه لا يمكن أن يكون قد لفق هذه القصة، يا أبي. فالفراشات موجودة ومن المحتمل جداً أن يكون ذلك العالم قد اكتشفها، هذا أولاً. ثم إن الخفراء كانوا رأوا هاريس يراقب الجزيرة. فما الذي يريدونه أكثر من ذلك؟»

«الدليل ثابت، يا ابنتي، ولكن فحص البيئة سيستغرق وقتاً. والوقت من ذهب. ثم هنالك فصل الأمطار الغزيرة. وقد سمعت في نشرة الأحوال الجوية للمدى البعيد، أن إعصاراً سيهب أثناء العيد. وكل هذا يبعث على خيبة الأمل. أرجو أن يأخذ هذه المرة درساً حسناً.»

تنهدت قائلة: «سيكون الأمر أسوأ بالنسبة إليه، لو أن هاريس كان قد دفع له ثمن ذلك.»

قال مارك بكآبة: «نعم. ما أسوأ أن يحمّل عاتقه عبئاً كهذا. كان يجب عليه أن يذهب إلى راف على الفور.»

قالت: «ابي. إن الرعب يملأ نفس جيف من راف، ألا تعلم هذا؟ قد يكونان من نفس العمر، ولكن جيف أشبه بالأخ

الطفل الذي يجد صعوبة بالغة في التمسك بمثله العليا. لقد قلت بنفسك انه عانى من طفولة تعسة. وهذا تركه ضعيفاً، محطماً، إذا شئت هذا التعبير.»

نظر مارك إلى ابنته وقد بان الحنان في عينيه: «بوركت لقلبك الطيب، يا عزيزتي، إنني متفهم لكل هذا وصدقيني أن الآخرين كانوا جداً متسامحين معه لهذا السبب وخصوصاً راف. ولكن تباً لكل ذلك. إن على جيف أن يواجه الحياة.»

«ربما سيفعل الآن. وليس لك أن تقلق لهذا الأمر. إنني اعتقد أن جيف يشعر بالخزي لما فعل.»

فقال بحدة: «الأغلب أنه خائف مما قد يحدث. كلا، لقد فعل جيف فعلته. والأمر إليه الآن في أن يصلح ما أفسد ويضع حداً لكل هذا. إنه سيذهب إلى التحقيق. وبعد ذلك هناك التشهير إعلامياً. إن من المستحيل أن يبقى هذا الأمر بعيداً عن الصحافة، ولا أعني محلياً فقط. هنالك كثير من المصالح الناتجة عن كل ما يقوم به راف. فهو كمهندس ومصوّر، لا سابق له. وبالمناسبة، قال لي إنه سيشكرك لدورك الذي قمت به لجعل جيف يتحدث عن الموضوع.»

قالت شيلي: «لا أريد أي شكر.»

ابتسم مارك للمرة الأولى: «وماذا في دعوة إلى العشاء؟ فأمس فقط كان راف يقول إن الوقت قد حان لنأخذك إلى بروت دو غلاس. ويمكننا المكوث في ميراج لعدة أيام. وهو منتجع دولي بخمسة نجوم، يقوم وسط ٣٥٠ فداناً من أروع الحدائق الاستوائية. وطالما لعبنا الغولف أنا وراف هناك في تدريبنا للبطولة العالمية في ذلك. إنك ستحبين المكان كثيراً. ولكن هناك شيئاً واحداً غير سار، وهو أن

دانييلا ستأتي هي أيضاً. وربما زايا أيرين عمتها، رغم أنها ليست من الذين يحبون الرحلات للنزهة.»

وقفت شيلي متجهة إلى المطبخ وهي تقول: «ما زال هنالك وقت كافٍ لهذا، يا أبي، هل تريد فنجاناً من الشاي؟»

«هذا جميل يا عزيزتي. هناك برنامج جيد على شاشة التلفزيون هذه الليلة سيستمر ساعتين كما أعتقد. إنها المغنية الإيطالية سيسيليا بارتولي. إنها تذكرني كيف كانت أمك تغني قديماً.»

ولم تجب شيلي، ثمة مآسٍ كثيرة في هذه الحياة وأكثرها نتيجة الحب، والموت.

• • •

لم تضيّع كارلا وقتاً في تعيين موعد للغداء مع شيلي. وحدثت هذه نفسها بأن كارلا مسكينة حقاً. وربما تعتقد بأن جيف يهتم بها هي. إن عليها أن تجد طريقة تخبرها بها بأن هذا أمر مستبعد تماماً.

جاءت دانييلا وقد بدت غاية في الأناقة في ثوبها الحريري البنّي اللون وقرطيها الذهبيين الجميلين وعدة إسورات ذهبية. كانت فاتنة حقاً في معظم الوقت. ولكن كان واضحاً لشيلي أن دانييلا كانت تمثل دوراً. أما كارلا، فقد كانت رقيقة مخلصة وذات جمال بريء.

ولكن المطعم الذي اختارته كارلا كان مترفاً للغاية. كان قائماً على شاهق من الصخر مواجهاً للبحر الأزرق الرائع. وكان الطعام ممتازاً، وكذلك الخدمة. ولكن مع هذا، لم تكن

دانييلا مسرورة، فقد مطت شفيتها اشمئزازاً وهي تتذوق العصير الذي أحضر إليها.

همست كارلا لشيلي باسمة: «لا تهتمي بها، يا شيلي. فهذه هي عادة دانييلا.»

قالت دانييلا بغطرسة: «هذا غير صحيح.»

أصرّت كارلا قائلة: «بل تفعلين ذلك. إنها تصرفات صغيرة تعوّدنا جميعاً عليها.» وبدا في العينين الجملتين خشونة وعنف.

فكرت شيلي متأملة، إذن فإن دانييلا ليست تلك المحبوبة من الجميع التي تظن نفسها. وتمتمت تغيّر من الموضوع: «إنه كان جميل حقاً.»

قالت دانييلا بلهجة ذات معنى: «ستشعرين بالحنين إليه عندما تعودين إلى بلدك.»

قالت شيلي بنفس اللهجة: «إن نيوزيلاند جميلة هي أيضاً. فلدينا هناك مناظر رائعة. فقط أوستراليا فسيحة جداً. وهذا أهم شيء فيها. والحاجز المكوّن من الشعاب الصخرية هو من أعاجيب العصر.»

ابتسمت كارلا قائلة: «حسناً، أنا أحبه جداً. إلى متى تتوقعين أن تبقي معنا، يا شيلي؟ فهنالك أماكن كثيرة يمكننا أن نراها معاً.»

قالت شيلي: «إن وقتي هو ملكي. ذلك أن عملي هو الرسم، ووكيل أبي أعجب بعملي. أتذكرين بول وماريزا جمايسون في الحفلة؟»

قالت كارلا باهتمام شديد: «ولكن بالطبع، لا بد أن عملك جيد جداً.»

www.elromancia.com

ولكن دانييلا التي كانت تريد أن تكون هي دوماً مركز الأنظار، اعترضت قائلة: «إن شيلي تنال اهتماماً خاصاً بصفتها ابنة مارك ستيوارت.»

قالت شيلي: «كان هذا في البداية.» وأشاحت بوجهها عن وجه دانييلا الذي ارتسمت عليه سخرية غامضة، إلى وجه كارلا ذي الجمال النقي. «وبعد ذلك، أصبحت مستقلة. إنني لست واثقة من موعد عودتي إلى الوطن، يا كارلا. إن وجودي مع أبي هو شيء رائع. ذلك أنني لم أكن احتمل كونه بعيداً عن حياتي.»

حملقت دانييلا فيها بشكل غير مهذب: «ولكن، ماذا عن أمك، وعن أخويك الصغيرين؟ من المؤكد أن عليك مسؤوليات نحوهم.»

«طبعاً، ولكن غيابي لن يؤثر عليهم. فإنهم يعيشون معاً. وهم أسرة متحابة.»

فلمست كارلا يدها قائلة: «إني متفهمة.»

لكن دانييلا، على كل حال، بدا عليها الاهتمام وتبدد فرحها المصطنع، فقالت: «عمّ كنت تتحدثين مع جيف غانت في ذلك اليوم؟»

فخطر لها ان ترد بسرعة وما دخلك أنت؟ ولكنها عادت فأجابت بنعومة: «كان يريد نصيحتي في أمر ما.»

«نصيحتك؟ ولكنه لا يكاد يعرفك؟» وكانت لهجة دانييلا بالغة التوتر.

وكان هذا كفيلاً بأن يغضب شيلي، ولكنها تصرفت كما يليق بضيفة، فقالت: «هذا صحيح. ولكن من المعروف عن الناس أنهم يفضون بأسرارهم إلى الغرباء.»

«ومع ذلك...»

استقامت كارلا في جلستها بحدة، ثم مدت يدها وكأنها تحمي شيلي: «أسكتي يا دانييلا، أرجوك. فأنا أعلم تماماً ما حدث. لقد شعر جيف بنفسية شيلي الطيبة على الفور. فشعر أن بإمكانه أن يفضي إليها بما عنده. فليس هناك كثير من الناس يمكنه أن يتحدث معهم. وهذه هي مشكلته، كما تعلمين.»

أجابت دانييلا دون أن تهتم بما بدا عليها من فظاظة: «ولكن شيلي ليست هي الإنسان الذي بإمكانه حل مشاكله. لماذا لم يتحدث معك أنت مثلاً، فقد كنتما خطيبين.»

قالت كارلا: «قد أكون خذلته في ذلك.»

قالت دانييلا: «يا عزيزتي، إنك فقط تشعرين بالأسف على نفسك ولا أدري السبب. إن جيف جذاب تماماً ولكنه غير مناسب لك.»

وضعت كارلا يداً مرتجفة على يد ابنة خالتها متوسلة: «أرجوك يا دانييلا.»

ولكن هذه لم تسكت: «إنك تعلمين أن هذا صحيح. طالما تحدثنا عن هذا الأمر بالذات، أنا وراف.»

شعرت شيلي بأن عليها أن تتدخل. فإن لدى دانييلا القدرة على الأذى وجرح الآخرين. فقالت بحدة: «دانييلا.» ورمقتها بنظرة ذات معنى.»

قالت كارلا: «لا بأس، يا شيلي.»

بدا عليها التحسن فجأة، وكذلك الانتعاش والثقة بالنفس: «لقد سبق وقلت لي هذا من قبل، يا دانييلا، وهذا غير صحيح أبداً.»

بدا على دانييلا الندم لإفشائها هذا السرّ، فقالت: «إني آسفة إذا كنت قد آلمتك، يا عزيزتي، ولكن هذا صحيح.»

نظرت كارلا في عيني ابنة خالتها مباشرة، وقالت: «كلا، كلا. إن راف لم يتحدث عن شؤوني معك. ولا في أيّ وقت كان.» وكانت لهجتها مليئة بالثقة. وأدركت شيلي أن كارلا قد سألت راف عن هذا. فهل كانت دانييلا تكذب بالنسبة إلى أمور كثيرة أخرى؟

ولكن دانييلا تثبتت في موقفها. فرفعت حاجبيها وكأنها على أتم استعداد لمسايرة ابنة خالتها: «حسناً، إذا كان هذا ما تقولينه، يا كارلا. كل ما في الأمر هو أننا نشعر بالقلق عليك. لماذا لا تعودين معي إلى فلورنسا؟ لقد كنت دوماً تستمتعين بوجودك هناك. وبإمكاني أن أجد لك شخصاً تحبينه.»

«أشكرك كثيراً، ولكنني مسرورة تماماً هنا، يا دانييلا.» وفكرت شيلي في أن كارلا أيضاً، ما زالت تحب جيف، بصرف النظر عما إذا كان يستحق ذلك. ذلك أن جيف عليه أن يغيّر الكثير من أسلوب حياته.

استأذنت دانييلا للذهاب إلى استراحة السيدات لإصلاح زينتها. ثم قالت لكارلا: «أريد قهوتي سوداء.»

تمتمت كارلا: «لقد نشأت دانييلا مدللة كثيراً. إني أشعر بأن عليّ أن اعتذر لفظاظتها معك، يا شيلي.»

قالت شيلي: «لا تهتمي بذلك. لقد استمتعت بوقتي هذا تماماً، وأشكرك كثيراً لدعوتك لي. هنالك شيء أريد أن أوضحه بالنسبة لذلك اليوم. وهو أن ليس لجيف أي اهتمام عاطفي بي، ولا لديّ أنا ذلك. كل ما في الأمر هو أنه قد تورّط

في مشكلة، وكنت أحاول أن أقدم له بعض النصح. وهذا هو كل شيء. وأنا لا أشك أبداً في أن جيف ما زال يحبك.»

فجأة، خفضت كارلا رأسها وهي تقول باكتئاب: «إذا كان الأمر كذلك، فهو لا يقوم بأي مسعى بهذا الشأن. فهو لايفتأ يخبرني بأنه غير كفوء لي، لقد كان أبي قدّم إليه وظيفة ممتازة كنائب لأخي فنسيت في فندق نملكه في كينز. وهو عمل يتناسب مع مؤهلاته. والفندق أوسينبا كبير ممتاز. إن بإمكان جيف أن يتعلم الكثير من أخي. وأبي لديه فنادق أخرى، وربما مع الوقت... ولكن كلا. إن جيف يريد أن يكون مستقلاً. أنا شخصياً أعتقد أنه يخاف من إلزام نفسه بأي شيء أو أي شخص. لقد أخبرته بذلك قبل أن أفصم خطبتنا. ظننت أن هذا قد يحفّزه للعمل. ولكن، واأسفاه، لم يحدث هذا.» ونظرت إليها، «هل بإمكانك أن تخبريني عن نوع هذه المشكلة، يا شيلي؟»

تنهدت شيلي من الأعماق: «كلا، يا كارلا لأنها تتعلق براف وعمله. وأظنه يريد أن تبقى الأمور هادئة. إني أعدك بأن أخبرك حالما يمكنني ذلك.»

بدا الحزن على كارلا: «إن أمنية حياة جيف هي أن يماثل راف. وهي امنيه ستدمره. إنها شيء نعرفه جميعنا، واؤكد لك أنها ما زالت موجودة، إن مشاكله متأصلة في طفولته فقد كانت في منتهى التعاسة.»

«ذلك ما سمعته.»

«لقد كان أنقذه جدي بيترو. فأرسله إلى مدرسة داخلية. وكان جيف أساساً قد غير أسرته. لقد أراد أن يحبنا جميعاً من كل قلبه. ولكن مشاكله كانت تقف في الطريق. لقد عرفت

أفضل ما في جيف وأسوأه. ولكنني ما زلت أحبه. هذا غريب أليس كذلك؟»

وكان صوت كارلا ينطق بالرقة.

قالت شيلي: «هذه هي الحياة. إن الحب ليس بأيدينا. فهو يحدث هكذا. يبدو لي أن مشكلة جيف الحقيقية هي عدم تقديره لنفسه.»

قالت كارلا: «هذه هي بالطبع. ولكن ما العمل بشأنها؟»

«ربما ينقذه تغيير كامل في كل شيء. هذا بالإضافة إلى اعتقاده بأنه مهم جداً بالنسبة لسعادة شخص آخر.»

«أتعنين أن عليّ أن أخبره بذلك؟ وكم أنا بحاجة إليه؟» وطوال الوقت الذي كانت تتحدث فيه شيلي، كانت عينا كارلا لا تفارقان وجهها.

قالت شيلي: «ألم تخبريه بذلك من قبل؟»

هزت كارلا رأسها باكتئاب: «أخشى أن يكون ما كنت قلته له هو أقرب إلى معنى: «ومن يحتاجك؟»

«حسناً، عليك أن تقرري ما إذا كان جيف يستحق ذلك. ربما كان قد فرغ صبره من أخطائه التي يرتكبها على الدوام.»

قالت كارلا: «حسناً، وماذا سأخسر؟ فأنت ودانييلا تبدوان رائعتين بثيابكما الأنيقة هذه. لقد أدركت الآن فقط وأنا أنظر إليكما هنا، مقدار إهمالي لنفسي. لقد فقدت الاهتمام بكل شيء، كما أظن. لقد عرفتك منذ فترة قصيرة فقط، يا شيلي، ولكنك ساعدتني كثيراً. أتمنى لو تطول مدة وجودك هنا.» نظرت إلى شيلي وهي تبتسم بمكر. «إن دانييلا ستذهب إلى إيطاليا قريباً.»

هنا حانت الفرصة فانتهزتها شيلي: «سيكون هذا صعباً إذا كانت هي وراف سيعقدان خطبتهما.»

فتلاشت ابتسامة كارلا وهتفت متعجبة: «خطبتهما؟ هذا خبر جديد علي!»

«أخبرتني بذلك دانييلا.»

«أظن أي شيء ممكن، إلا خطبة دانييلا هذه.»

سألتها شيلي: «ألا يسرّك هذا؟»

شردت نظرات كارلا وهي تقول: «إننا جميعاً نحب دانييلا، طبعاً، ولكنها، طوال سنوات، أحدثت مشكلات كثيرة. إن جيف يسميها الغول الصغير لا أريدك أن تأخذي عني فكرة سيئة، ولكنني سأصاب بصدمة إذا كان هذا الخبر صحيحاً. لقد وقعت في غرام راف فتيات لا يحصى عددهن. ولكنه لم يمنح قلبه لأيٍّ واحدة منهن. وفقده لوالديه في طفولته جعله ينشأ مكتفياً ذاتياً. لذلك، ليس هنالك إمرأة ذات أهمية خاصة في حياته. وأنا دوماً أفكر في أن الحب إذا أصاب قلب راف، فستكون ردة الفعل لديه عنيفة وهو سيقاومه. فالمسألة بالنسبة إلى راف هي أن اكتفاءه بذاته هي مسألة كبرياء حقيقي. كما تقول أمي دوماً. كلنا نعلم أن دانييلا تحبه منذ شبت عن الطوق ولكنني لم أر من راف ما يدل على أنه يكن لها شعوراً من هذا النوع.»

تمتمت شيلي: «لقد كنت ظننت أن هذه رغبة الأسرة.»

نظرت كارلا إلى الخلف لترى إن كانت دانييلا قد عادت، ثم قالت: «بالعكس. إن هذا لن يناسب الأسرة مطلقاً. إنك لا تعرفين دانييلا جيداً. إنها بالغة الجاذبية، ولكنها ليست فتاة هيّنة، أليس كذلك؟»

وكان هذا رأي شيلي بالضبط.

افترقت الفتيات الثلاث حوالي الثالثة. وعندما وصلت شيلي إلى البيت، وجدت راف جالساً على الشرفة يتحدث إلى أبيها، وشعرت شيلي على الفور بالتوتر يتملكها. ولكنها تابعت صعودها السلم بهدوء.

عندما وصلت، وقف راف، بينما أدار أبوها رأسه: «هل عدت، يا ابنتي؟ كيف أمضيت وقتك؟»

أجابت: «أمضيت وقتاً جميلاً.» وهذا لم يكن صحيحاً تماماً. ونظرت إلى راف وقد ساورها الألم الذي يصاحب الحب غير السعيد. وكالعادة، فضحتها أساريرها لدى رؤيته. «كيف حالك يا راف؟»

«أنا بخير، كما أنا على الدوام.»

«هل هنالك تطورات ما؟»

فقال بصوت صارم: «أتعنين بالنسبة إلى الجزيرة؟»

قال مارك: «إن راف في غاية الاستياء، يا ابنتي.»

جلست على كرسي قرب أبيها، وهي تقول: «هذا ما أراه. كل ما أرجوه أن يكون جيف قد استطاع القيام بالعمل الصائب.»

قال راف بفروغ صبر: «تباً له. لقد جاء إليّ أخيراً.»

قال مارك يخفف عنه: «إن جيف يتأخر دوماً في اصلاح أخطائه، والتي لا نهاية لها، ولكنه صادق المشاعر.»

قال راف بشكل متكلف: «أريد أن أشكرك، يا شيلي لنصيحتك الصائبة له تلك. فقد أخبرني بكل شيء عن لقائكما ذاك.»

تمتمت شيلي بصوت متوتر: «إنني مسرورة إذ أمكنني القيام بعمل ما.»

«أنا شاكر لك هذا على كل حال. والآن هذا يكفي بالنسبة إلى جيف. إن أقرب موعد قرره الدكتور نيلسون والذي هو من المسؤولين عن البيئة، لبحث القضية، هو يوم الاربعاء. وذلك سيوقف العمل في الانشاءات، ولكن هذا أفضل ما بإمكانه القيام به. إنه يبحث الآن في قضية التلوّث، وعليه أن يرفع تقريره إلى الوزير. وهو يقوم بالعمل بسرعة إكراماً لي. ليس لديّ أدنى شك في أن الأمور ستصلح، ولكن التأخير سينسف كل حساباتنا.»

سألته شيلي: «ألا يمكنك أن ترفع دعوى على ذلك الرجل، هاريس؟»

«سأفكر في وضعنا بعد أن يقوم الدكتور نيلسون بتقديم تقريره. يمكنني أن أقول إن ضغطه على جيف، أثناء التحقيق معه، كان عنيفاً. وفي النهاية شعرت بالأسى لأجل جيف وهو يتظاهر بالصمود والثبات. ولكنه بدا في النهاية بالغ الحزن والانفعال. كما أن هاريس سيواجه موقفاً صعباً للغاية أمام الدكتور نيلسون، هو أيضاً. ويظهر أن أحد أفراد الحراس المتجولين في مارين باركس كان قد شاهد هاريس يتسكع في الجزيرة. كما أن حارساً آخر كان رأى العالم غانتر في المنطقة. كل شيء سيظهر في النهاية، وبعد ذلك من الأفضل لجيف أن يرحل بعيداً.»

قالت شيلي باختصار: «مسكين جيف.»

قال وهو ينظر في عينيها: «إنه بحاجة إلى أن يصبح خشناً صلباً، فإذا رأيته فلا تظهري له أي عطف.»

أجابت: «نعم، يا راف.» ولم يصدر جوابها هذا عن طاعة، بل عن إرادة كاملة.

www.elromancia.com

«لقد جئت في الواقع لأدعوك إلى تناول العشاء في منزلي غداً مساء. ثم تبيتين هناك. إن لدى ماركو موعداً سيحدثك عنه بنفسه.»

استدارت نحو أبيها تسأله بقلق: «أي موعد، يا أبي؟»

ابتسم لها قائلاً: «كان يجب أن أخبرك يا عزيزتي ولكن ذلك غاب عن ذهني. إن الموعد هو لإجراء فحص الدم الذي اعتدته من وقت لآخر. وسيكون الأمر أسهل لو انني أمضيت ليلة في المستشفى.»

جاهدت شيلي لكي تكافح الألم المفاجيء الذي شعرت به: «هل هناك شيء خطير يا أبي؟»

قال: «كلا يا عزيزتي. إنه روتين فقط. فلا تقلقي لذلك، أرجوك. يمكنك أن تأتي لأخذي في الصباح التالي.»

«لقد كنت قلت إنك شفيت تقريباً.»

قال راضياً: «وهذا صحيح. إن الدكتور ريغبي يتابع تطور هذا الأمر منذ سنوات. سأكون مسروراً لو أنك أمضيت الليلة في منزل راف. فأنا لا أريدك أن تبقي وحدك في الليل.»

ألقت شيلي نظرة سريعة على راف، ولكن وجهه الوسيم لم يكن يعبّر عن شيء وهو يقول: «حسناً، سأذهب الآن، وسأحضر لأخذك غداً إلى المستشفى يا ماركو.»

وقفت شيلي وهي تقول: «هذه شهامة منك، يا راف. ولكنني أنا التي سأقوم بذلك.»

قال: «لا ضرورة لذلك، يا شيلي، فأنا ذاهب إلى المدينة على كل حال. ولكن يمكنك المجيء معنا بكل تأكيد.»

قالت بحزم: «بل سأقوم أنا بذلك، أينما يذهب أبي، سأذهب أنا أيضاً.»

قال وهو يهبط الدرج: «هذا أحسن.»

قالت: «شكراً سأسير معك إلى السيارة.»

لوّح ماركو له بيده، قائلاً: «سأراك فيما بعد يا راف.» ثم استدار داخلاً المنزل.

انتظرت شيلي إلى أن وصلا إلى السيارة، ثم قالت: «ماذا يجري يا راف؟ أريدك أن تخبرني.»

«ما أغرب شأنك. إنك لم تشاهدي أباك مدة ستة عشرة عاماً، ثم إذا بك تنظرين إليّ وأنت تسألينني عنه وكأن قلبك يطل من عينيك.»

قالت بصوت مستميت: «ذلك لأن القلق يكاد يقتلني. ما الأمر يا راف. هل تظن أن هذا تمثيل؟»

«إذا كان كذلك، فهو تمثيل يفوق الخيال. إنني أريد أن أصدقه، يا شيلي. فليس مما يسرني أن تساورني نحوك الشكوك المتناقضة.»

«إنك تشعر بالسرور عندما تجد ذريعة للومي. فأنت تريد أن تلجئني إلى الرحيل.»

قال شبه غاضب: «هذا هراء وأنت تعلمين ذلك.»

«أحقاً؟»

قال محذراً: «لا تبدئي أيّ شيء الآن، يا شيلي. فقد يكون أبوك يراقبنا.»

«إذن، فلا تزعج أبي بأي شيء تقوم به. أزعجني أنا.»

«دعي هذا الآن.»

قالت بعنف: «ليس لي رغبة مطلقاً في الذهاب معك إلى منزلك غداً مساء. لقد أبديت القبول فقط، وذلك لأجل أبي.»

«بل ستأتين. وسأحضر لأخذك.»

«إنك تضيّع وقتك. إنني لا أدري ما هذا الذي بيننا. ولكنني لا أريده أن يستمر هذا إلى أن لديك مرافقة هي دانييلا.»

«هل معنى هذا أنك غيورة؟»

«يا له من تفكير فاسد. إنني أتمنى لدانييلا كل الحظ الذي في العالم.»

قال بشيء من الاشمئزاز: «ماذا تلفقين الآن.»

«هذا ليس تلفيقاً، فقد أخبرتني دانييلا أنكما مصممان على الزواج.»

استدار نحو السيارة وقد بان على ملامحه إنزعاج عنيف، «لا تكوني حمقاء غبية.»

قالت بصوت مرتجف خفيض: «هذا ليس جواباً.»

«أحقاً؟» وفتح باب السيارة بعنف واستقر وراء عجلة القيادة. «ستذهبين معي غداً مساء. هل كلامي واضح؟»

قالت وشفتاها ترتجفان: «إنني لن أذهب ولا يمكنك أن تفعل معي شيئاً. أريد أن أجلس في بيتي بهدوء. لا أريد أن أزعج نفسي بأمثالك.»

قال وقد احتد مزاجه: «لا يهمني ما تفعلينه ولكنني لا أريدك أن تسببي لماركو مزيداً من القلق.»

أبدت بيدها حركة توسل، «إنك ستخبرني عما إذا كان أبي يعاني من شيء خطير، أليس كذلك، يا راف؟»

«هذا شيء لا يطاق، والأفضل أن تذهبي، يا شيلي، الآن.»

«لن أصفح عنك أبداً إذا أنت كذبت عليّ.»

فرفع رأسه: «ماذا تريدين أن تعرفي؟ لقد كان ماركو قد أصيب بمرض استوائي خطير وذلك منذ سنوات ولم يشف

منه تماماً حتى الآن. وهذا ليس أمراً غير عاديّ بالنسبة للحميّات. وقد حاولت أن أعرف المزيد من الدكتور ريغبي، ولكنه لا يصرح بالمعلومات عن مرضاه. لقد بقي ماركو سنوات بهذا الشكل. كل السنوات التي لم تكوني فيها هنا.»

«إنك تكرهني؟ أليس كذلك؟ إنك تكرهني لما تظنني فعلته لأبي، وتكرهني لأجل نفسك.»

انفجر قائلاً بعنف: «لا تقولي ذلك.»

هزت رأسها قائلة: «هذه هي الحقيقة طبعاً. إنني أذكر شيئاً قالته كارلا، وهو أنك ستقاوم أي ميل منك نحو امرأة خصوصاً إذا كنت لا تثق بها.»

قال لها باختصار: «إنني ذاهب، يا شيلي.»

ابتعدت عن السيارة بحذر، «يمكنك ذلك. إنني سأذهب معك بسيارتي صباحاً، ثم أعود إلى البيت. واحرص على ألا يعلم أبي بالأمر.»

الفصل التاسع

بقيت شيلي وراف في المستشفى إلى أن تمت إجراءات دخول مارك، وبعد ذلك صممت شيلي على أن تتحدث إلى الدكتور ريغبي بنفسها، وذلك بعد أن تزايد قلقها، فقالت لراف: «علي ان اقوم بذلك، يا راف. أريد أن استخلص منه بعض الأجوبة.»

فسكت راف لحظة وقد توتر وجهه، فتشبثت شيلي بذراعه تسأله بعنف والخوف يطل من عينيها: «انك لا تخفي عني شيئاً، أليس كذلك؟»

فنظر إليها معنفاً: «لقد سبق وألقيت علي هذا السؤال من قبل. حيث انك اقرب الناس إلى مارك، فإن لك كل الحق في ان تتحدثي إلى ريغبي، ولا أظنه سيخبرك باكثر مما عرفناه. فهذه الفحوصات تجري له منذ سنوات. وعلي ان اخبرك كذلك بأن الدكتور ريغبي هو خبير معترف به بالأمراض الإستوائية.»

فقالت بضعف: «لا بد أنه يعلم اكثر مما يقول. يجب ان اتحدث إليه.»

فقال: «إذن، دعينا نرى إن كان قد عاد إلى مكتبه.» وقادها في الممر وقد ساد التوتر بينهما، لم يكن ثمة طريقة تسحب بها ما قالت.

توجه راف إلى البهو حيث كان الدكتور ريغبي الذي عاد خطوة إلى الخلف ليدعها تمر أمامه نحو مكتبه، حيث قال

باسماً وهو يشير لها إلى كرسي لتجلس: «هل عادت فأزعجتك عضة العنكبوت تلك؟» ثم سار نحو مكتبه يجلس خلفه.

«انني بخير الآن، وشكراً يا دكتور. لكنني أريد أن اتحدث اليك بشأن أبي.»

فاستقام الدكتور في جلسته بكل راحة وهو يقول بحرارة: «لقد كنت رائعة بالنسبة إليه، يا عزيزتي، إنني لم أره قط من قبل سعيداً بهذا الشكل.»

ولكن، هل حالته حسنة يا دكتور؟ هذا هو ما يهمني. لقد اخبرني بكل شيء عن العدوى التي اصابته، ولكن ليس الكثير عن مدى اصابته. واظنك تعلم ان أبي لا يجب ان يتحدث كثيراً عن حالته الصحية، لقد تحدثت إلى راف، ولكنه لا يستطيع ان يخبرني بشيء هو أيضاً، المسألة هي أنني اشعر ببالغ القلق.»

فأخذ الدكتور ريغبي ينظر في ملاحظات امامه، يفحص شيئاً ما، ثم نظر إليها. «طبعاً يا عزيزتي. طبعاً، انك تحبين أباك، فمن الطبيعي ان تقلقي، ان ما تعرض له أبوك هو شيء جهنمي، انه مزمن ولكن بشكل خفيف غير واضح. ليس لدي أدنى شك بأن الحمى قد انتقلت إليه بواسطة البرغش، انها ليست ملاريا على كل حال. ان حالة أبيك تميل نحو فقر الدم والتي بإمكاننا ان نسيطر عليها، كما اصبح بإمكاننا ان نسيطر أيضاً على ما يصيب الكبد. ان حرارته ترتفع من وقت لآخر، ويحدث لديه ألم في المفاصل أشبه بآلام حمى الروماتيزم، ولكنه كان يستطيع التعايش مع ذلك. إنني واثق من أنه اخبرك بأنه هنا لإجراء فحوصات روتينية في الدم،

وهذا هو الواقع، لقد مضى وقت ساورني فيه القلق بسبب تأثير ذلك على قلبه كل هذه المدة الطويلة، ولكنه حريص ويرعى نفسه جيداً، فهو لا يدع وزنه يزداد، وليس لديه ارتفاع في الضغط ولاكولسترول. وهذا كل ما بإمكاني اخبارك به، يا عزيزتي، اننا نعالج حمى استوائية خفيفة مزمنة ولكنها غير معروفة، ولكننا نعالجها، وعقيدتي هي أن كل هذا يخرج من جسمه شيئاً فشيئاً.»

فسألته بصوت متخشب: «ولكن، اتظن ذلك قد قصر من عمره سنوات؟»

فأخذ الدكتور ريغبي يفكر بالسؤال بوقار: «هذا ممكن يا عزيزتي، فنحن جميعاً بين يدي الله، ألم تكوني تعلمين بحالة أبيك؟»

فهزت رأسها قائلة: «أبداً، إلى ان جئت إلى هنا، أليس هنالك شيء بإمكاني عمله؟»

«فقط ما تقومين به الآن من عمل. ان مارك يعتني بنفسه جداً وهو يتلقى مراقبة صحية كافية هنا.»

وعندما خرجت شيلي من مكتب الدكتور، كان جسدها باجمعه يرتجف، وكان راف في انتظارها، فوقف حين رآها. كان وجهه يبدو مظلماً ساهماً.

وسألها: «حسناً؟»

فقالت بصوت مختنق: «دعنا نذهب. دعنا نخرج من هنا.» وفي فناء المستشفى، سألها: «انك مضطربة، ماذا قال لك الدكتور؟»

فاغرورقت عيناها بالدموع: «اكثر قليلاً مما سبق وعرفناه، لقد حاولت أن استخلص منه اكثر، وذلك بسؤاله

عما إذا كان مرض أبي ينقص سنوات من عمره، فكان الجواب، نعم، آه، يا راف.»

«انه أمر صعب. اعرف ذلك. ولكنك كنت تعلمين هذا من قبل.»

«كلا لم اكن اعلم، آه، كم أنا خائفة، لو كنت علمت أما كنت جئت؟»

«لماذا لم تجيئي؟»

فعاودها ذلك الشعور المعتاد بالاحباط والعجز. «انك لا تصدقني، أليس كذلك؟»

فاجفل: «لقد قال لي مارك بنفسه أنه كتب إليك عن الحمى المتكررة التي تصيبه. اتتصورين أنه أنا الذي لا أريد أن اصدقك؟»

فقالت بحزن: «ها أنذا هنا الآن، يملأني القلق والاهتمام.»

«لا تدعي ماركو يرى ذلك منك، رغم أن التظاهر بالإنشراح هو أمر صعب عليك. ان عملي سيستغرق مني ساعة أو نحو ذلك. اتظنين أن بإمكانك ان تملأي وقتك، أثناء ذلك، بتناول فنجان قهوة؟»

فقالت وهي تغالب دموعها: «سأكون على ما يرام.»

«إذن، فسانزلك في وسط المدينة، ثم آتي لأخذك خارج مقهى ميلانو بعد ساعة.»

«هذا حسن.»

ولاذ راف بالصمت في السيارة، وكأنه لا يريد أن يشعر بوجودها، وعندما انزلها، سارت في الشوارع على غير هدى، وذلك قبل أن تقرر تناول فنجان من القهوة. يا للتضليل

www.elromancia.com

ما أسوأه إثماً وحقداً، وما اكثر نتائجه السيئة. ومع هذا، شعرت شيلي في اعماقها بان أمها لم تقرأ رسائل مارك، هي أيضاً، ربما كانت تتلفها حال وصولها، فالحياة غير سهلة بالنسبة لأمرأة وحيدة. ثم إن ردة الفعل عند أمها بالنسبة لتحطم زواجها الأول كان سيئاً للغاية ولكن تضليلها لها هذا كانت من نتائجه هذا التنافر بينها وبين راف. ذلك التنافر الذي ابتدأ من أول ليلة تعارفا فيها، ثم أخذ ينمو. فإن اكثر ما يريده راف من المرأة التي يحب هو ان يستطيع احترامها، ولكن علاقتهما كانت تضعف وتهن باستمرار نتيجة اشمئزازه مما يظنه من قسوتها تجاه أبيها، وكان بإمكان شيلي أن تعترف بذنب أمها، ولكنها رأت في ذلك نوعاً من الغدر بأمها، وان تكن في الواقع تريد من راف أن يقبل بها كما هي وليس كما يعتقدها عليه، أتراها قد برهنت عن مبلغ حبها الكبير لأبيها حقاً؟ ربما راف، في عقله الباطن، كان يحاول أن يرفضها. فعلاقتهما، كما هي الآن، هي علاقة محتدمة المشاعر، وهو لا يريد هذا، فهو رجل بالغ التهذيب، رجل يحافظ على التقاليد. فهو يحب الانضباط والسيطرة على مشاعره. اما استحواذ الرغبة عليه فهو شيء خطر. ورجل مثل راف يكره أن يستعبده شيء.

جلست شيلي إلى مائدة في الفناء الخلفي، ثم طلبت فنجاناً من القهوة الإيطالية وشطيرة. لم تكن تريد هذه، ولكن كان عليها أن تمضي الوقت بشكل ما. كان الفناء رائعاً بالنباتات المعلقة من الأصص، والنافورة التي كانت تتصاعد منها المياه برقة، وعند المائدة القريبة كانت فتاة جميلة ترتدي ثوباً اصغر مائلة نحو شاب معها وكان

سروره بها واضحاً. كان منظرهما يصلح موضوعاً للوحة ترسمها، تسميها (إغراء في الشمس) ورغم حزنها، فقد بقيت فنانة، وكان هذا المشهد مفعماً بالعاطفة.

كانت ترشف قهوتها عندما برزت امامها، فجأة، كارلا برفقة جيف الذي كانت الرصانة تبدو على وجهه. ونظرت شيلي إليهما بدهشة، وفي نفس اللحظة كانا هما قد شاهداها، ورغم حبها لكارلا، فقد كانت شيلي تريد ان تكون وحدها، ولكن هذا ما كان ليحدث، ذلك أن كارلا توجهت إليها على الفور وقد بان عليها الدهشة والسرور.

«ما الذي احضرك إلى المدينة، يا شيلي؟»

وحياها جيف: «مرحباً.»

فقالت شيلي ترحب بهما: «تفضلا بالجلوس.»

فقالت كارلا: «هذا حسن.» وكانت تبدو مليئة بالحيوية وهي تجلس على الكرسي الذي قدمه جيف إليها، ثم جلس بينهما.

وقالت شيلي: «لقد دخل أبي المستشفى لإجراء بعض الفحوصات. وقد جئت مع راف، وهو سيعود لأخذي بعد ربع ساعة.»

فبان الاهتمام الصادق على كارلا: «ان كل شيء على مايرام بالنسبة إلى أبيك، اليس كذلك يا شيلي؟»

«ليس سهلاً بالضبط معرفة ذلك.»

فقال جيف: «هكذا هم الأطباء، انهم يظنون الناس غير المختصين بالطب لا يفهمون شيئاً، ان مارك يقوم بهذه الفحوصات منذ سنوات يا شيلي. فليس هناك ما يستوجب منك القلق.»

فقالت شيلي: «ولكنني أرى ذلك محزناً.»

فقالت كارلا وهي تلمس يدها بكل رقة: «هذا طبيعي، إن الدكتور ريغبي بالغ المهارة، وليكن لديك ايمان، لقد بدأ أبوك وسيماً حسن الصحة في الحفلة. فهو سعيد جداً لكونك معه.»

«انني مسرورة لكوني هنا، يا كارلا، انك تبدين رائعة.»

فاحمرت وجنتا كارلا. ولكن وجهها كان يشرق بالبهجة. «لقد قررنا أنا وجيف ان ليس بإمكاننا أن ننفصل، فقد كان الأمر فظيعاً. فأنا بحاجة إلى جيف، وهو بحاجة إلي.»

فقال جيف وهو ينظر إلى كارلا باسماً: «اننا لم نخبر أحداً بعد، يا شيلي، انك أول من يعلم.»

«إذن، اتمنى لكما السعادة الكاملة.»

وكان وجه كارلا يطفح بالسعادة. «شكراً يا شيلي. لقد نوينا أن نخبر الأسرة في أقرب وقت. قد يكون لدى أبي ما يقوله، ولكنني واثقة من أنه سيمنح جيف فرصة أخرى.»

فنظر جيف إلى شيلي برهة، ثم قال: «كان قدم لي والد كارلا وظيفة، وهي وظيفة ممتازة، فإذا كانت ما تزال موجودة فسأطالبه بها، والوظيفة هي في مدينة كيرنس، وأنا وكارلا نعتقد ان من الأفضل ان نعيش في مكان جديد، قد لا اكون ثروة أبداً، ولكن بإمكاني ان اثبت شخصيتي الحقيقية.»

فابتسمت شيلي بعطف وهي تقول: «إنني سعيدة جداً لأجلكما. متى سيكون كل هذا؟»

فقال جيف: «لا نريد الأنتظار، يكفي ما اضعنا من وقت ثمين، أو بالأحرى أنا، لقد أحرقت مراكبي هنا.» وكان

صوته مليئاً بالإشمئزاز من نفسه، وقالت كارلا تفسر كلامه: «جيف يعني بذلك، الوضع في الجزيرة.»

فسألته شيلي: «هل قمت بكل ما تستطيعه، يا جيف؟»

فأومأ برأسه: «لقد تحدثت مع الرئيس الأعلى مارين باركس واخبرته عن كل ما يتعلق بدوري الأحمق في القضية. انني على الأقل لم افعل شيئاً في الواقع، ولكنني حركت المشروع، لقد جعلني هذا كله اعيد النظر في مواقفي وحياتي. ووجدت أن حياتي حتى الآن، لم تكن سوى محاولات مؤسفة للتمثل براف، بينما لم اكن، ولن اكون أبداً صالحاً لهذا الأمر، ولا حاجة للقول انه غاضب مني تماماً، وغضبه هذه المرة هو حقيقي، فقد بقي مدة طويلة يتساهل معي، ولكن الأمر هذه المرة، مختلف، ولا أدري ماذا سيكون عليه تصرفه عندما يعلم أنني وكارلا عدنا إلى بعضنا.»

فجذبت كارلا نفساً عميقاً: «انه سيريد ما أريده أنا، يا جيف، وأنا احبك. وسنجعل زواجنا ناجحاً.»

فقال بحرارة: «هذا حسن، وأنا سابذل جهدي في سبيل ذلك.»

وتركتهما شيلي مسترقين في الأماني العذبة، ولكنها ما ان خرجت من المقهى، حتى لحق بها جيف يمسك بذراعها: «شيلي، لقد نسيت نظاراتك الشمسية.»

فمدت يدها قائلة: «آه، لقد شعرت بانني نسيت شيئاً، شكراً يا جيف.» «بكل سرور، فلنبق اصدقاء، جميعنا.»

فقالت شيلي والإخلاص في عينيها: «هذا ما أوده.» «انني ساجاهد للنجاح هذه المرة، يا شيلي، فما دام لكارلا ثقة بي، فساعرف كيف انجز شيئاً يستحق التقدير.»

فابتسمت شيلي: «لا بأس، اتمنى لك النجاح.»

«وشكراً لكل ما ساعدتني به.» ورفع يدها يقبلها. «لقد اخبرتني كارلا كيف شجعتها انت بالنسبة إلي، قالت انها كانت بحاجة إلى ذلك. ثمة شيء آخر، وهو أننا لم نخبر احداً بعد، فقد كان والد كارلا قد علم بما حدث في جزيرة الملاك، وهو لن يكون مسروراً مني. وقد أراه هذه الليلة، ولكن مرة أخرى، قد يطلب مني الإنتظار.»

«إنني لن أخبر أحداً بالأمر، يا جيف.»

فربت جيف على كتفها. «لا تقلقي كثيراً بالنسبة إلى مارك. فقد عاش مع حالته هذه مدة طويلة. انه سيهزم المرض.»

فقالت بهدوء: «أرجو ذلك، يا جيف، الأفضل ان أذهب الآن. فإن راف سيأتي لأخذي من مكان ما، هنا.»

فنظر جيف حوله بشيء من الحذر. «تلك هي سيارته عبر الشارع. انتبهي إلى نفسك يا شيلي. سنكون على اتصال.»

فوضعت شيلي نظاراتها على أنفها، وانتظرت إلى ان هدأت حركة المرور، ثم عبرت الشارع، كان راف واقفاً على الرصيف، وما أن وصلت، حتى فتح لها باب السيارة وكانت ملامحه لا تنبىء عن شيء.

وفكرت شيلي ساخرة، في أنه ربما يظن انها تدبرت أمر لقائها هذا مع جيف، حسناً، وماذا يهم هذا؟ فهي متهمة عنده مهما فعلت.

جلست صامتة بينما قاد هو السيارة في الشارع الرئيسي، ثم اتجه خارج المدينة.

وأخيراً، نظر إليها قائلاً: «أين قابلت جيف؟»

فأجابت وهي تجاهد لتمالك اعصابها: «انني لم اقابله ابداً. لقد كان يتناول فنجان قهوة، وكذلك كنت أنا.»

«لم اعرف قط أن جيف يأتي إلى مقهى ميلانو وحده.»

فقالت وقد استغربت هذا التوتر بينهما: «وهل قلت أنا انه كان وحده؟»

فسألها ساخراً: «هل كان مع صديقة له؟»

فعضت باطن شفتها: «في الواقع، لقد كان مع كارلا.»

وفكرت في أن لا ضير في أن تقول هذا فقط.»

«لا أظن أن كارلا تقبل بأن يقبل يدك.»

فأجابت: «لا اظنها تعترض على هذه النقرة البسيطة على اليد دليل الصداقة.»

فنظر إليها بعينين تتألقان: «لا اظن انه الطراز الذي يعجبك بين الرجال.»

فقالت وهي تدفع شعرها إلى الخلف: «وما هو طرازي؟»

«الرجل الناجح.»

«مثلك؟» وفكرت في أن هذا هو الواقع.

«ربما.»

كان واضحاً انه يسخر منها. فقالت بهدوء: «انك تعرف كيف تكون قاسياً.»

فقال وقد اظلم وجهه: «لم أحاول أبداً أن اكون كذلك من قبل، ثم هل ان كارلا من الحماقة بحيث تدخل في مصالحة معه.»

فقالت وقد انتابتها موجة غضب: «لماذا لا تترك الأمر لهما؟»

www.elromancia.com

«سافعل ذلك، صدقيني، فكارلا فتاة ناضجة الآن، ويمكن أن تقرر امورها بنفسها. سامحيني إذا كنت أريد لها الأفضل.»

فقالت بصوت حانق: «امنح جيف فرصة، أنه يحاول أن يصلح حياته.»

فضاقت عيناه وتوتر فمه. «إذا كانت هذه هي المسألة: «يبدو لي انك زدت من متاعبه.»

فأشاحت بوجهها قائلة: «لا تكن سخيفاً.»

«أنا مسرور لسماع هذا. فقد كان لدي انطباع بأنه يميل اليك، وكذلك كل من شاهدكما.»

«ألا يمكنك ان تميز الصداقة عندما تراها؟ لقد تبعني جيف إلى الخارج لأنني كنت نسيت نظاراتي.»

فقال بلهجة متوترة: «لا استطيع أن اصدق انك مهملة إلى هذا الحد، رباه، هذا جنون! فأنا متعطش إلى الشجار معك وكذلك أنت.»

«ذلك لأننا قلقان بشأن أبي.»

فقال وقد رقت لهجته: «ان بإمكانه أن يتدبر أمره بنفسه، فهو لا يجب أن يعامله الآخرون كمريض عاجز.»

«انا لا أنوي التصرف بهذا الشكل، فأنا لست غبية.»

«إذا كان هذا صحيحاً، فهو ليس ظاهراً على الدوام.»

فنظرت إليه قائلة: «ان مزاجك كريه حقاً.»

«معك حق، وأنا لا أريده كذلك. لماذا لا يكون كل شيء واضحاً؟»

فسألته بشيء من العنف: «هل تعنيني أنا بهذا؟»

فأجاب بجد تام: «من الحماقة تماماً ان تختلطي بجيف عليك أن تدعيه وحده.»

فأطلقت ضحكة قصيرة لاهثة: «لا استطيع ان اصدق أن هذا يضايقك، لقد كان جيف وكارلا يتناولان القهوة معاً، ما الذي تريده اكثر من ذلك؟»

كانت ملامحه من التوتر بحيث بدا واضحاً أنه يجد صعوبة في تصديقها. «أريد وعداً منك بأن تدعيهما يحلان مشاكلهما بنفسهما.»

فصرخت: «إذن، فقد حصلت على هذا، يعلم الله لماذا علي أن اقدم وعداً بشيء، ولكنني سافعل، ان المشكلة باجمعها هي انك لا ترى في شخصي شيئاً حسناً.»

فنظر إليها بعينين متألقتين: «بالعكس، فأنت رائعة الجمال، ذكية، موهوبة، ان بإمكاني ان انظر اليك، استمع اليك طوال النهار، أما ما لا افهمه فهي الدوافع التي تقودك.»

فقالت بلهجة ملؤها الضجر والتعب: «انك لا تريد أن تفهم. هذا هو السبب، يوماً ما سنكون، انا وأنت، بعيدين... بعيدين جداً، إنني لا أشعر بالفخر لكون أبي كان يعيش وحده سنوات طويلة، في البداية، كانت أمي ممتلئة مرارة، وهذا شيء طبيعي، كما تعلم، على كل حال، فأنا هنا الآن، والحياة اقصر من ان نحمل انفسنا عبء الأحداث القديمة المفجعة، إنني وأبي متفاهمان تماماً، وذلك رغم كل شيء تريد أن تعتقده.»

فقال بخشونة: «إنني اعتقد فقط بما كان قيل لي، يا شيلي، انك اعتنيت بماركو بشكل جيد جداً.»

فهزت رأسها و قد نضحت عيناها بالألم. «اتراك تتساءل عن السبب؟ ان ما تجده صعباً هو انك ترغب بي. وأنت تشعر بالخزي لهذا لأنني لا اعجبك. فأنت تعتقد بأنني عدت إلى

www.elromancia.com

أبي لأنني علمت بأنه أصبح رجلاً غنياً، حسناً، عليك اللعنة، ليس لدي القوة لأقاتلك، لهذا أريد أن اكون وحدي.»

فقال بخشونة: «ليس في منزل المزرعة ذاك. ربما ستكونين في أمان تام، ولكن ماركو لا يريدك هناك ولا أنا أيضاً، فإذا كان وجودي يبعث الإشمئزاز في نفسك، فسأبقى بعيداً عن طريقك.»

«إني آسفة، ولكنني لا اريد أن أرى دنييلا، أيضاً، ان من المخزي ان تتقرب إلي بالحب، بينما هي تخبرني بانك عشيقها.»

فمد يده يقبض على ذراعها. «هذا جميل، إذن فأنت تنعيتنني بالتفسخ الأخلاقي.»

فقالت تأخذ بثأرها لما سبق وقاله لها من قبل. «أنا فقط أردد ما كان قيل لي، انك تؤذيني، ياراف.»

فتركها على الفور. «لقد تحدثت مع دانييلا عن هذا، ولكنها انكرت بقوة أن تكون قالت شيئاً من هذا القبيل.»

«وطبعاً، انت صدقتها، ذلك لأن دانييلا تستحق كامل ثقتك.»

فقال بصوت يحتوي على شيء من العداء: «أنا لم أقل إنني صدقتها. فقد كنت ضبطت دانييلا بمثل هذه الأشياء اكثر من مرة، لا ضرورة لمثل هذه الظنون، يا شيلي، فما دانييلا سوى قريبة لي.»

فحدثتها نفسها أن تقول له ان يخبرها بذلك، ولكن قلبها لم يطاوعها، فقالت بهدوء تام: «لا اريدك أن تهتم بأمري، ياراف، ان لدي الكلبين، وسأكون بخير تماماً.»

* * *

أفرغت شيلي مشاعرها بقية ذلك النهار، في عملها في

المرسم، إرتدت قميصاً قديماً لأبيها ملطخاً بالادهان، وجمعت ملء ذراعيها بالأزهار الإستوائية بينها ثلاث زنابق ناصعة البياض وبعض الأقحوانات، وبعد ذلك نسقتها بكل بساطة في زهرية شرقية مستطيلة، ثم وضعت كل ذلك على مقعد خشبي مغطى بقطعة قماش رائعة الجمال.

وهناك، وجدها راف عند العصر، وكان نبهها إلى قدومه نباح الكلبين يرحبان به.

قالت له: «كنت أعلم انك ستعود.»

«ان تمردك الصغير ماكان ليمنعني من ذلك.» وبقي يتغرس فيها فترة تابع بعدها يقول: «اظن ان منظرك يبدو حسناً في كيس من الخيش. ان التعبير الذي يبدو على وجهك أثناء العمل، هو بالضبط التعبير الذي يبدو على وجه أبيك، ايمكنني رؤية هذه؟»

فاستدارت شيلي ووضعت الفرشاة من يدها. «طبعاً، لا يمكنني منعك من عمل أي شيء تريده.»

«علي ان اعترف انك تشكلين بالنسبة إلي تحدياً كبيراً.» وتقدم نحو اللوحة، فوقفت هي جانباً لكي يراها.

تمتم يقول: «رائعة، ان الأزهار تبدو وكأنك قطفتها لتوك.»

فقالت وهي تخلع قميص أبيها: «وهذا ما فعلته.»

فقال بصوت رقيق: «انك فتاة حساسة، أليس كذلك؟»

«وهل أنت لست كذلك؟»

فقال بجفاء: «لا تذكريني، إذا كنت تريدين أن تحضري معك بعض حاجياتك، فافعلي لأننا عائدان إلى منزلي، وحيث أنني لا أريد أن أبدو شخصاً لا يطاق، فقد فكرت في

ان آخذاك لرؤية الخيزران وهو يحترق، ان اكثر المزارع مستعدة للحصاد، فرأيت انك ربما تحبين مشاهدة ذلك. فقد يوحي إلى ذوقك الفني بشيء.

فأخذت شيلي تغلق الأبواب وهي تقول: «سآتي معك بكل تأكيد.

* * *

امتنعت دانييلا، هذه المرة، عن مراقبتهما، ذلك انها بعد العشاء بقليل ضغطت بمنشفتها على فمها قائلة: «ان رائحة السكر المحترق تكاد تخنقني، خذ شيلي ولا تتأخرا. ربما يمكننا أن نسبح قليلاً بعد رجوعكما.»

استقل راف مع شيلي سيارة الحبيب بدلاً من الستيشن واغن.» ثم اتخذا الطريق الساحلي، مفتونين بمنظر سماء منتصف الليل التي استحالت إلى لون وردي دخاني. كانت النيران، التي كانت تخلص الأرض من الأعشاب الطفيلية وأوراق الأشجار وغيرها، كانت قد ابتدأت في عدة مزارع في الأنحاء وذلك عند الغروب وستستمر طوال الليل. وكما قالت دانييلا، كان دخان قصب السكر معلقاً في الجو كالضباب. وقاد راف سيارته الجيب في الطريق الصخري نحو رأس بحري يشبه السهم بتكوينه ويشرف على غابة فسيحة من الخيزران المحترق. وهناك نزلا من السيارة حيث سارا مسافة قصيرة ليجلسا على رابية صغيرة.

كان منظراً خلاباً، يوحي بالبهجة، وكذلك الخوف شأن النيران دائماً حتى ولو كانت في وضع يمكن السيطرة عليه. كان بإمكان المرء أن يرى سحب الدخان الرمادية البيضاء

معلقة على ارتفاع قدم واحد فوق اللهب. كانت تلهث محاولة ان تلتقط انفاسها، وكان الهواء مشبعاً برائحة السكر المحترق.

وقال راف: «اظنك اكتفيت بهذا.»

فقالت: «لشد ما هو رائع خلاب...»

فقال وهو يتنهد: «يجب ان نذهب، يا شيلي.»

فقالت بصوت مفعم بالشوق: «اعلم ذلك.»

«ألا ترين أنني في طريقي إلى فقد السيطرة على نفسي؟»

«ليس أنا من يحدث لك ذلك، يا راف، ان عليك أن تبقي على هذه السيطرة.»

فأطلق ضحكة قصيرة قاسية: «في هذه اللحظة، سيطرتي على نفسي لا تساوي كثيراً، لا بأس أن تطلبي مني أن أهدأ. ولكن أرجوك، لا تشجعيني.»

فقالت: «بل سأفعل، اريدك ان تركع لي خاضعاً على ركبتيك.»

«أحقاً؟ عجباً، ولماذا هذا؟»

«لأنك تعذبني، فاعذبك.»

فسألها بشيء من العبوس: «وكيف اعذبك؟»

فأجابت ببساطة: «لأنك لا تقدرني كما يجب.»

فقال بصوت خشن مليء بالسخرية: «لا اقدرك؟ لا تكوني حمقاء. ان بإمكاني ان آخذك الآن، فأنت تصبحين ملكي كلما كنا معاً.»

«أليس هذا غريباً؟» وكان الضعف يبدو في صوتها. «اتعنين لأننا نحمل نارنا معنا؟ الأفضل أن نعود، ياشيلي، قبل ان تنالي ما تستحقينه.»

فوقفت، وتعثرت قليلاً أثناء اسراعها في السير، فأمسك بها قبل ان تقع. «يالك من غبية، كان يمكن أن تلوي كاحلك. ألا ترين الأرض مغطاة بكل أنواع الصخور والحفر؟»

«أظن بإمكاني مواصلة السير وحدي.»

فقال بحزم: «بل سنواصله معاً. ألم تدركي ذلك بعد، يا شيلي؟ إنني لن ادعك تغيبين عن بصري.»

قابلتهما دانييلا عند وصولهما وعيناها الداكنتان تكتسحهما بعنف، شيلي أولاً، ثم راف، وقفت صامتة لحظة، وقد تملكتها الغيرة والغضب، ثم توهج وجهها احمراراً، وقالت بصوت خافت غاضب: «أرجو المعذرة، فأنا ذاهبة إلى فراشي.»

فقال راف دون أن يبدي أي اهتماما: «تصبحين على خير، يادانييلا.»

آه، يالقسوته.

• • •

خرج مارك من المستشفى في الصباح التالي، بالغ الحيوية وأثناء الأسبوع التالي، ذهب مع شيلي في نزهات طويلة بالسيارة في الناحية الريفية، وهما يرسمان ويخططان في الهواء الطلق، كان الوالد وابنته في أتم انسجام، مستمتعين بهوايتهما المشتركة، والمناظر الرائعة حولهما. وكانت الأزهار قد ابتدأت تتفتح، والطبيعة تخطف النظر بالوانها. وكانت الطرق المتعرجة، والغابة الماطرة إلى اليسار، والصخور الشاهقة تمتد معلقة على طول الشاطىء الأبيض اللانهائي للبحر الأزرق.

وذات يوم، توقفت شيلي ووالدها لكي يسلكا الدرب الهادىء البارد المؤدي إلى الغابة الماطرة المعشوشبة، بشلالاتها المتساقطة وبحيراتها ذات اللون الأخضر القاتم، أخذا يحدقان إلى الأشجار الضخمة المعمرة بفروعها التي تبلغ عشرات الاقدام طولاً، وأزهار الأوركيد البرية المنتشرة بكثرة. وكانت دوالي الكرمة تمتد بكثافة مغطية أرض الغابة الماطرة، وفي احد الأمكنة، كان الفطر الأبيض متشكلاً كالفراشات، وكان من الكثافة بحيث تراجع مارك وابنته لكيلا يفسدا وضعها ذاك. وكان مارك مستمراً في تفسير ماتراه، بهدوء، ودوامة الأضواء الخضراء تسبغ على المكان كله جواً غير أرضي، وكأنهما يجولان في الجنة.

قال لها: «هذا يوم لا ينسى، يا عزيزتي، انها معجزة كاملة من الجمال والسلام.»

وفي نفس ذلك اليوم، عند العصر، وصل راف. وكان قد اتصل هاتفياً عدة مرات من قبل متكلماً مع مارك، ولكن هذه كانت المرة الأولى التي تراه فيها شيلي منذ اليوم الذي احضرا فيه أباها إلى المنزل. سألها بينما كانت واقفة على الشرفة تحييه: «أين ماركو؟»

«إنه يأخذ غفوة قصيرة. فقد طفنا كثيراً في الأنحاء في المدة الأخيرة. واليوم اكتشفنا غابة ماطرة مرتفعة عن الأرض. كان ذلك أمراً رائعاً، أزهار الأوركيد سيجن بها مستنبتو الأزهار. وطيور من أجمل ما يكون لقد دخلت إلى كرمة ملتفة، واطلقت صرخة صغيرة، وإذا بالطيور تنطلق من الأشجار بكل الوان قوس قزح.»

www.elromancia.com

وكانت عيناه على وجهها الجميل. «إن الرحلة قد أفادتك. كان يجب ان تكوني في الغابة الماطرة عند الفجر حيث غناء الطيور لا يصدق. ربما بإمكاننا أن نتدبر رحلة إلى هناك.» واتكأ على حاجز الشرفة ثانياً ذراعيه وقال: «ان لدي بعض الأخبار.»

«أهي لأجلي أم لأجل أبي؟»

فقال: «هيا، إنها لكما، أنتما الاثنين.»

«اتريدني أن اوقظه؟»

«كلا، بل أتركيه يرتاح فترة. لقد أمسك أحد الخفراء في مارين باركس بالعالم غانتر، وقد احضر للتحقيق معه واعترف بأنه وضع الفراشات في الجزيرة. لقد بدا عليه انه اكثر اهتماماً بالحصول على التكريم لاكتشافه ذلك النوع من الفراشات، منه بالاهتمام بحماية نفسه او هاريس. حتى إنه اقترح اطلاق اسمه على هذا النوع من الفراشات. حسناً، لقد حل مشكلتنا على الأقل. وأنا أتوقع أن يتضح كل شيء ونعود إلى البناء في غضون ثمانٍ وأربعين ساعة.»

فبدا الارتياح والسرور على وجه شيلي. «هذا خبر جيد. إنني في غاية السرور. عليك ان تخبر أبي بذلك بنفسك.»

فأومأ راف: «ان هاريس يتملكه الأسى لما آل إليه حاله، إنني أنوي رفع دعوى عليه.»

«لك الحق في ذلك، هل سمعت بعودة كارلا وجيف إلى بعضهما.»

فقال والسخرية في عينيه: «طبعاً. وأتمنى لهما الخير، ولكنني مازلت اظن أن كارلا كان عليها أن تختار رجلاً أفضل.»

«ربما، ولكنها تحبه، كما يبدو عليه أنه مصمم على القيام ببداية جديدة لحياته.»

فقال راف بمنتهى الجفاء: «إذا هو لم يفعل، فسيقع في متاعب جمة. عليك ان تصفحي عني لسوء ظني بدورك في هذا الأمر.»

فسألته بلهجة ناعمة: «هل هذا اعتذار؟»

«تماماً.» وتشابكت نظراتهما إلى أن حولت هي نظراتها أولاً، بينما تابع هو قائلاً: «لقد تسرعت في ادانتك.» وبعد لحظة صمت، قال: «انك لا تأتين على ذكر امك مطلقاً.»

فقالت بسرعة: «اني احب أمي كثيراً. ولكن الذكريات القديمة تؤلم أبي.»

«طبعاً، ولكن لماذا لا تأتين على ذكر ذلك معي؟» فشملته بنظرة متفحصة، ثم قالت: «ما الذي تهدف إليه، يا راف؟ فأنت لا تفعل أو تقول شيئاً دون سبب.»

فقال وهو ينظر إليها بإمعان: «ربما، لقد كنت قلت مرة أن أمك كانت تشعر بمرارة بالغة.»

فأجفلت مبتعدة عنه قليلاً. «هذا طبيعي، بالتأكيد، ان المحاكم العائلية حافلة بأناس تملأهم المرارة.»

«لا بد أن تأثير ذلك عليك كان عنيفاً، كيف كانت ردة فعلك؟»

فقالت وهي تستدير لتواجهه: «لقد أحببت أبي دوماً... دوماً، ولم أنسه قط. ما الذي تريد أن تعرفه، يا راف.»

«لماذا يبدو عليك الإضطراب؟ انك لم تؤذِ احداً قط أليس كذلك، لا أمك، ولا أباك. حتى انك تفضلين ان تعيشي كاذبة على أن يحدث لهما ذلك.»

كان يقترب جداً من الحقيقة التي لم تكن شيلي تريد أن تتحدث عنها.» أرجوك، يا راف.»

«هل اخبارك لي بالأمر سيء إلى هذا الحد؟»

وكاد الحنان في صوته يسحقها، فاحمر وجهها اضطراباً. «ليس لدي ما اخبرك به، عليك ان تدرك فقط انني أحب أبي لأجل نفسه كلياً.»

«وهذا يوحي باسئلة كثيرة، ولكننا سندعها الآن.» ونظر نحو المنزل قائلاً: «إذا كنت متأكدة من أن ليس في ذلك إزعاج لأبيك، فأنا أريد أن احدثه عن غانتر.»

«إنه لن يتضايق إطلاقاً، لا أدري إذا كنت تحب البقاء معنا للعشاء.»

«اسأليني بشكل لائق.»

وفجأة، شعرت بسعادة تغمرها. «أرجوك إبق معنا للعشاء يا راف.»

«بكل سرور.» ومست عيناه المتألقتان مشاعرها، ثم قال ببساطة: «بالمناسبة، لن تبقى دانييلا وعمتها أيرين مدة طويلة. فدانييلا ترى أن الحياة في أوروبا اكثر متعة وبهجة.»

وكانت شيلي توشك على الدخول إلى المنزل، فاستدارت تحملق فيه. «آه، وما هو شعورك نحو ذلك؟»

فقال والسخرية تلوح على وجهه: «أشعر بانها على حق تماماً. ساصنع شراباً الآن بينما توقظين أنت ماركو.»

فاندفعت شيلي داخلة البهو وتنورتها تتطاير حولها. كان والدها مسترخياً على سريره، وقد بان الهدوء والإطمئنان على وجهه، والفرح كذلك، حتى ان شيلي

للحظة، تصورته صبياً حدثاً، وذلك ببراءته وخلو ملامحه من أي ألم أو حزن.

ونادته برقة: «أبي.» وانتظرت أن يفتح عينيه الزرقاوين. ذلك ان مارك لم يكن يرغب في النوم أثناء وجود راف في المنزل. وعادت تناديه «أبي!» واقتربت منه يغمرها الحب له، وقد بدا الشك في عينيها وكأنما صوت بعيد يتحدث إليها. ودون أن تشعر، كانت ترسل صرخة ثاقبة ممزقة دفعت راف إلى جانبها، ثم تهبط على ركبتيها المرتجفتين، ببطء شديد وقد انتابها إدراك عميق بأن أباها قد رحل.

الفصل العاشر

مرت أشهر، كانت شيلي اثناءها تشعر بأنها انتقلت إلى أرض قفراء. لقد كان ألمها لفقدها أباها من العمق والحدة بحيث كان من المستحيل عليها أن تتمالك نفسها. لم تكن تستطيع أن تأكل أو تنام أو ترسم. لقد أسرعت أمها وزوجها إليها وقد سحق أمها هذا الخبر الذي ملأها شعوراً بالذنب، ذلك أن مارك ستيوارت لم يكن قد بلغ الخمسين عندما فارق الحياة بمثل هذا الهدوء.

لم يستطع أفراد أسرتها، بكل ما يكنونه نحوها من حب وشفقة، حتى أمها، لم يستطيعوا ان يصلوا إلى نفسها. فقد اقفلت شيلي على نفسها لتغرق في حزنها، لقد عادت طفلة مرة أخرى، تحاول أن تدفع عنها صدمة هائلة.

أثناء الأيام الأولى المفجعة، وقد شلتها الكارثة، تركت كل شيء لتصرف راف الذي كرس نفسه ليكون مساندها، فيمسك بها ويواسيها، ومع هذا، فقد حدث شيء غير مألوف، وهو أنها لم تعد تشعر نحوه بذلك الحب القديم. لم تعد تحب أحداً، وشعرت بأنها لن تحب أحداً مرة أخرى.

بول جمايسون، وكيل أبيها، وزوجته كانا غاية في الرقة والحنان نحوها. وبقيا على اتصال مستمر بها، وعندما اقترح بول ان يعود للاهتمام بعرض اعمال أبيها، وافقت على ذلك، فلوحات أبيها حافلة بالجمال والمعاني. وبإمكانها أن تعتمد على بول في القيام بأمر عرضها.

أما بالنسبة إلى عملها هي، فقد تركت كل شيء ما عدا لوحة كانت قد بدأت برسمها ذات ليلة أرقة بوجه خاص، وجدت راحة البال فيها مستحيلة. وبعد عدة أسابيع في نيوزيلاند، عادت لتعيش في منزل المزرعة، وهذا ما سبب لراف المزيد من القلق، ولكنها أخبرته بحزم أن هذا ليس من شؤونه، لقد كانت عودتها إلى بيت أمها قد ساعدتها كثيراً، ولكن منزل أبيها قد عاد فجذبها إليه.

أما بالنسبة إلى راف، فقد كان صديقها الذي لم يفارقها، حيث بدا أنها قد أصبحت ذات مناعة ضد تلك المشاعر القديمة نحوه، وعندما اكتملت صورة والدها التي رسمتها، أرسلها راف إلى بول الذي اتصل بها على الفور يعلمها بوصولها.

قال لشيلي برقة: «انه نصر باهر يا عزيزتي، فقد بكت ماريزا عندما رأتها، أرجو السماح لي بإدخالها المعرض. انني أعرف انها ليست للبيع، ولكنني متأكد من انها ستزيد من شهرتك الفنية.»

كان بول طبعاً رجل أعمال ماهراً. وكان راف قادماً لتناول الغداء معها، فقد أصبح يفعل هذا غالباً، في المدة الأخيرة، إذ كان كما يبدو، يشك في أنها لا تأكل كما يجب، لقد فقدت الكثير من وزنها. وكانت جزيرة الاحلام قد افتتحت مدينة ملاهي، ولكنها رفضت الذهاب، كان كل ما يلمسه راف يستحيل إلى ذهب، ثم إنه بلغ من الشهامة حداً جعله يرسل دعوة إلى جيف وكارلا، وكانا هما الاثنان في غاية الغبطة لأن كارلا كانت حاملاً، وقد شدد هذا من عزيمة شيلي قليلاً، ولكن ما اكثر الأشياء التي فقدت اهتمامها بها، لقد جعل الحزن حياتها تغرق في الفوضى.

عندما وصل راف حياها ببساطة وأخبرها انه يظن ان وزنها ازداد قليلاً، ولما لا وهو لا ينفك يحضر لها كل انواع الطعام؟ فهو دوما يدخل عليها وفي يده شيء، وابتدأت الكلاب ضجيجها المعتاد، ان لديها ثلاثة الآن، بوفين ومولي، وأوتو، وكان أوتو مستعاراً، فهو واحد من كلاب راف الشرسة، وكان حيواناً ذكياً مهيباً بشكل غريب، وكان واضح الرغبة في القيام بعمله الذي هو حراسة شيلي واملاكها، وقد انسجم الكلاب الثلاثة معاً بشكل جيد، رغم أنه أصبح مفترضاً بوجه عام، ان أوتو هو الرئيس.

سألته شيلي وهي تعبث بطعامها بالشوكة. «انك ستأتي معي إلى سيدني، أليس كذلك؟»

نظر إليها بجد، قائلاً: «هل انت واثقة من انك تريدينني ان اذهب معك؟»

أومأت برأسها بكل براءة: «انك تعلم طبعاً مبلغ اعتمادي عليك. فأنت افضل كثيراً من أخي الأكبر، لو كان لي أخ.»

سافرا إلى سيدني صبيحة يوم العرض، وحجزا غرفتين في الفندق قبل ان يأخذها راف لتتسوق، ولم تكن تظن أن بإمكانها الطواف في الشوارع. ولكن راف اصر عليها للقيام بذلك.»

وعند الساعة الخامسة، كانت قد أنهت ارتداء ثيابها، وكانت قد علمت أن العرض سيكون بين السادسة والثامنة مساء، كان الجو في سيدني بالغ البرودة، والوقت منتصف الشتاء، بينما كان رائعاً هناك في المزرعة، كان الطقم الرائع الأناقة الذي ترتديه، يخفف من سواده الحالك، قميص أبيض ناصع. وكانت متزينة بعقدها اللؤلؤي النفيس، هدية أبيها،

والقرطين اللؤلؤيين المتدليين واللذين كانا يتلاءمان مع وجهها بشكل رائع، وكان شعرها قد تكوم بعضه فوق رأسها بشكل تاج، بينما انسدل الباقي على ظهرها. كانت تعلم أنها تبدو مترفعة ثرية وهذا ما كان راف يريده. وحاولت ان تنسى اللحظة المؤلمة التي وصل فيها إلى بابها، وهو يقول لها: «انك، بكل بساطة، رائعة.»

وحالما وصلا إلى المعرض الفني، استقبلهما بول وماريز حيث ابتدآ يقدمانهما إلى الآخرين. كان الزائرون جميعاً أذكياء محنكين، وقد اهتموا بابنة مارك ستيوارت وذلك الرجل غير العادي الذي يرافقها.

وانضمت إليها امرأة أخرى، وكانت شقراء متألقة. وعندما عاد راف يبحث عن شيلي، وليسألها عن حالها، أخذت تصرخ به بحدة. ما أغرب هذا الذي كان يدل على ضعف سيطرتها على نفسها، لقد أدركت الآن أنها قد اعتادت أن تعتبره خاصاً بها فقط. بينما هي ليست حتى مرافقة جيدة، وابتدأت تراقبه باستمرار. وعندما باغتها تقوم بذلك، رفع بقنه زهواً. تناولا العشاء بعدذلك، مع بول وماريزا. وهكذا، عندما انزلتهما السيارة، فيما بعد، على باب الفندق، كان الوقت متأخراً تماماً، كانت غرفتاهما في نفس الطابق حيث أوصلها راف إلى الباب، قال لها وقد بدا الهدوء والراحة على وجهه: «لقد كنت هادئة جداً.»

قالت: «أنا آسفة.» وأشاحت بوجهها قليلاً لتخفي توهج وجهها. لقد حدث ذلك بشكل مفاجيء غريب، فسألها بلطف: «مارأيك في فنجان قهوة قبل النوم؟»

«لا بأس، إذا كنت تريد.»

«كنت افكر فيك كثيراً، فقد كان التوتر يبدو عليك حتى انك لم تأكلي جيداً أثناء الغداء ولا في المطعم.»

«لا تبالغ في الأمر، يارافـ.» ومشت أمامه تلقي بحقيبة يدها على كرسي.

«ماذا حدث يا عزيزتي؟ لقد كانت هذه الليلة متعبة حقاً لك.»

قالت: «على الأقل أنت استمتعت بوقتك.» وذهلت للمعنى الذي تضمنه كلامها هذا، فاستدارت إليه. «آسفة يارافـ، ان هذا شيء لا يغتفر.»

قال: «ولكنك تصرفت بشكل حسن جداً. وكنت متألقة. ولو كان ماركو موجوداً لتملكه الزهو البالغ بك. فقد انتقلت موهبته إليك. وستنقلين انت تلك الموهبة إلى اولادك.»

تملكها حزن هائل. وبشعور بالنقص لم تشعر به قط من قبل، قالت وهي ترفع يديها إلى صدغيها: «ربما انا من الجبن بحيث لن يكون لي أولاد.»

تقدم اليها على الفور، قائلاً: «ما هذا الذي تقولينه؟ سيكون لك أولاد طبعاً، وستكونين أماً رائعة.»

قالت تسأله: «هل ما زلت تريدني، يارافـ، أم انني فقدتك؟»

«لا اظن ذلك.»

«اني بحاجة إليك.»

«إذن، ها انت ذي قد ارغمت على الإعتراف بذلك.»

«لا تجرحني.»

«كلا؟» وكان صوته متيقظاً بالغ التوتر.

«انني اريدك، انت تعلم ذلك.»

«أحقاً؟ كنت ظننت انك نسيتني.»

«كلا، لم انسك، هل تريدني أن أتوسل إليك؟»

«كلا يا عزيزتي كل ما أريده هو أن اسمعك تقولين انك تحبينني.»

ما هي الصعوبة في ذلك؟ فهي تحبه، فهو قد أصبح جزءاً من حياتها. فانفجرت تقول بعنف: «نعم، انا احبك.» ولكن الخوف تملكها من ألا يصدقها.

«انني اريدك ان تتزوجيني، ياشيلي.» وكان يتكلم بحزم وقسوة. «لقد أردت ذلك منذ وقت طويل جداً، حتى عندما كنت من الحماقة بحيث كنت أشك فيك، ولكنني مالبثت ان أدركت الحقيقة، حتى قبل ان تخبرني أمك، لشدة حزنها، بها.»

بان الإضطراب في عيني شيلي. «أمي؟»

قال يطمئنها: «إنني لم أسألها قط، ياشيلي. لقد اخبرتني بنفسها، فقد عرفت طبيعة شعوري نحوك، كما عرف ذلك أبوك من قبل، لقد أرادنا أن نتزوج. تلك كانت أمنيته الغالية.»

همست وقلبها يتمزق: «أعلم ذلك.»

«وهكذا، إذا كنت تحبينني حقاً، فعديني بأن تتزوجيني.»

شعرت بموجة فرح تتملكها، ولأول مرة منذ وقت طويل، يشع الضحك من عينيها. «انني لن أقول نعم، إلا إذا تأكدت من حبك.»

تمتم يقول: «انني أحبك يا شيلي، لقد كان اليأس قد ابتدأ يتملكني من انك لن تهتمي أبداً بأن تسمعي هذه الكلمة مني، انني أحبك، واعتز بك، إنني اريدك ولا اطيق صبراً على ذلك، فإذا وعدتني بقبول الزواج مني، فلن يكون هناك سبيل

www.elromancia.com

امامك للتراجع، تأكدي من ذلك. انك ستكونين لي، وسيبقى كل منا للآخر.»

كان هذا حلمها الكامل في الحب. «اعرف هذا، اعرفه، لن يكون هناك فراق بيننا، يا راف. أبداً، ونحن سنبدأ رحلة الحياة معاً. تماماً كما كان يريدنا أبي أن نفعل.»

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة

تـــمـــت